روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جدا!!

٩٩

الانفجار

د. نبيل فاروق

Looloo
www.dvd4arab.com

ملف المستقبل

في مكان ما من أرض مصر ، وفي حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية .. يدور العمل فيها بهدوء تام وسريّة مطلقة .. من أجل حماية التقدم العلمي في مصر .. ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية التي هي مقياس تقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف يعمل فريق نادر تم اختياره بدقة بالغة :

ـ نور الدين : واحد من أكفأ ضباط المخابرات العلمية يقود الفريق .

ـ سلوى : مهندسة شابة ، وخبيرة في الاتصالات والتتبع .

ـ رمزي : طبيب بارع متخصّص في الطب النفسي .

ـ محمود : عالم شاب وإخصائي في علم الأشعة .

فريق نادر يتحدّى الغموض العلمي والألغاز المستقبلية .. إنهم نظرة أمل للمستقبل .. ونخة من عالم الغد .

د . نبيل فاروق

١ ـ الأسير ..

ارتفع وقع خطوات أحد ضباط الاحتلال الجلوريالي ، عبر البهو الرئيسي لمركز المراقبة والرصد ، التابع لقوات الاحتلال ، والمقام على قمة أعلى جبال (أرغوران) ، ونهض مسئولو المركز لاستقبال الضابط الكبير ، الذي صافحهم في تعال واضح ، وهو يقول :

ـ ماذا هناك ؟ .. لماذا طلبتم مقابلتي على وجه السرعة ؟

تنحنح رئيس المركز ، قبل أن يقول في تردد :

ـ المفروض أنك المسئول عن متابعة نشاطنا يا سيدي ، والأوامر تحتم الاتصال بك على الفور ، لو التقط مرصدنا أية ظواهر غير طبيعية ، أو أمكنه تحديد أية سفن غير جلوريالية في مجال (أرغوران) .

بدا الاهتمام على الضابط ، وخفتت غطرسته قليلا ، وهو يسأل :

ـ وهل وقعتم على شيء كهذا ؟

تبادل المسئولون نظرة ارتباك ، قبل أن يجيب رئيسهم في حذر :

ـ نعم ولا .

حل الغضب محل الاهتمام ، فى وجه الضابط الجلوريالى ، وهو يقول فى عصبية :

ـ أى عبث هذا ؟ .. هل لاحظتم شيئا هامًا أم لا ؟

أشار رئيس المركز بيده فى اضطراب ، وهو يقول :

ـ رويدك يا سيدى ، وسأشرح لك الأمر كله .

ثم التقط نفسا عميقا ، فى محاولة للسيطرة على أعصابه ، قبل أن يتابع :

ـ أنت تعلم أن عملنا هنا ينقسم إلى قسمين : المراقبة التقليدية لمجال (أرغوران) ، ودراسات الفلك والنجوم ، ومنذ تردّدت أسطورة المنقذ المنتظر ، تلقينا أوامر مشددة ، بمراقبة مجال الكواكب بمنتهى الدقة ، والإبلاغ عن أى شىء يثير شكوكنا .. ولقد أدينا عملنا على أكمل وجه ، ولم نجد ما يثير الشبهات ، ولكن ..

صمت الرجل لحظة ، فصاح به الضابط فى عصبية :

ـ ولكن ماذا ؟.. أكمل يا رجل ..

أجاب رئيس المركز فى سرعة :

ـ فى أثناء رصدنا التقليدى لشمس (أرغوران) ، سجّل مرصدنا بغتة مرور جسم حالك السواد ، أمام شمس (أرغوران) الصغرى ، ولجزء من الثانية .

ردد الضابط فى قلق :

ـ جسم حالك السواد ؟! :

أجاب رئيس المركز :

ـ الواقع أنه جسم يستحيل رصده ، فى الظروف العادية ، ولولا مروره لجزء من الثانية أمام الشمس الصغرى ، لما رأيناه قط ، أولاحظنا حتى وجوده فى مجالنا .

سأله الضابط فى لهفة :

ـ ألديكم تسجيل لذلك الجزء من الثانية ؟

قال الرجل فى حماس :

ـ بالطبع .. إننا نسجل كل ما تلتقطه مراصدنا طوال الوقت ، ودون لحظة واحدة من التوقف .

ثم انتقل بسرعة إلى جهاز عرض ، وضغط أحد أزراره ، مستطردًا :

ـ انظر .

تطلع الضابط الجلوريالى فى اهتمام بالغ ، إلى شاشة العرض ، التى نقلت صورة كبيرة لشمس (أرغوران) الصغرى ، وجسمًا أسود دقيقًا يعبر طرفها بسرعة .. وهتف الضابط :

ـ قل لى : هل يمكنكم تكبير اللقطة ؟

أجابه الرئيس بسرعة :

ـ بالطبع يا سيدى القـائد .. لقد كبرناهـا بنسبة سبعة إلى واحد .

وضغط الأزرار مرة أخرى ، فعادت الصورة تظهر على الشاشة مكبرة ، فى وضوح أكثر ، فاتسعت عينا الضابط ، وارتجف جسده كله ، وهو يهتف :

ـ اللعنة !.. إنها (أرغوريا) .

سأله رئيس المركز :

ـ هل تعنى أننا وقعنا على أمر خطير يا سيدى ؟

شد الضابط قامته فى حسم ، وهو يقول :

ـ بل أمر بالـغ الخطـورة يـا رجـل .. ألا تعـرف (أرغوريا) .

سأله الرئيس فى حذر :

ـ كلا .. ما هى بالضبط ؟

برقت عينا الضابط ، وهو يقول :

ـ إنها السفينـة الإمبراطوريـة الأرغورانيـة ، التى حملت إلينا أعظم خطر نواجهه ، منذ تم احتلالنا لهذا الكوكب .. حملت إلينا المنقذ الأسطورى ، القادم من (سيتا ـ ٣) (*) .. (نور) .. القائد (نور) .

(*) (سيتا ـ ٣) : الاسم الذى يطلقه سكان (أرغوران) على كوكب (الأرض) .

تطقها القائد الجلوريالى فى مقت شديد ، على الرغم من أنه لم يكن يعلم عن القصة كلها ، سوى أن (نور) وفريقه قد نجحوا فى الهبوط على (أرغوران) ..

لم يكن يعلم كم قاسوا ، حتى ينجحوا فى هذا .

لقد انطلقت بهم (أرغوريا) من كوكب (الأرض) ، منذ ما يقرب من شهر كامل ، وراحت تقطع مئات السنوات الضوئية فى اليوم الواحد ، بسرعتها التى تتجاوز سرعة الضوء ، وعبورها لفجوات ومسارات فضائية خاصة ، تختصر الزمن والمسافة ، ولا يعرفها سوى سكان (أرغوران) و (جلوريال) ..

وفجأة ، كشف (نور) أن (أكرم) و (مشيرة) تسللا إلى السفينة ، بدون علمه ..

ونشأت مشكلة جديدة ..

مشكلة نقص الأكسجين ..

وللتغلب على هذه المشكلة الخطيرة ، قرر (نور) اتخاذ طريق أكثر اختصارا ، ولكنه بالغ الوعورة والخطورة ، بسبب ما يحويه من آلاف النيازك والكويكبات الصغيرة ..

طريق (ميروريا) ..

وخاضت (أرغوريا) ذلك الطريق المخيف ، وأمامها ثلاث مقاتلات ، تشق لها طريقها ، ويقودها (نور) و (رمزى) ، و (أكرم) ..

وفى الوقت نفسه كان مجلس المقاومة السباعى فى (أرغوران) يستعد لاستقبال (نور) ، المنقذ المنتظر للكوكب ، من الاحتلال الجلوريالى ، ولكن كانت تواجهه مشكلة عويصة ومخيفة ..

مشكلة وجود جاسوس خائن ، بين قادة المجلس السبعة ..

وبسبب وجود هذا الخائن ، علم الجلوريالیون بقدوم المنقذ ، وأرسلوا مقاتلاتهم لاعتراضه ..

ولم تكد (أرغوريا) تتجاوز طريق (ميروريا) ، حتى وجدت نفسها فى مواجهة مقاتلات (جلوريال) ..

ودارت بين الطرفين معركة رهيبة ، انتهت بفقد (رمزى) ، ونجاح (أرغوريا) فى الفرار ..

وعلى (أرغوران) ، وضع (بودان) ، شقيق (بودون) ، والقائد الخفى للمقاومة ، خطة خاصة ، لكشف الجاسوس ، وتمهيد السبيل لهبوط (نور) ورفاقه ..

ونجحت الخطة ، وهبط فريق (نور) على (أرغوران) ، وتم اتهام (هونور) بخيانة المجلس السباعى ، واهدر رجال المقاومة دمه ..

وجن جنون إمبراطور (جلوريال) وقائد فرسانها ، عندما علموا أن (نور) أصبح داخل (أرغوران)

بالفعل ، وبدأت الجهود المضنية للقضاء عليه ، ولكن (نور) أعلن عن قدومه بوسيلة مبتكرة ..

لقد احتل مع رجال المقاومة مركز البث الرئيسى ، وأذاع أمر وجوده ، وجعل (بودان) ينتحل شخصية شقيقه الراحل (بودون) ، ويعلن أن الإمبراطور الشرعى للكوكب مازال على قيد الحياة ..

وكانت ضربة عنيفة للمحتلين ، الذين راحوا يدرسون فكرة إحداث ليل صناعى لكوكب (أرغوران) ، الذى يحيا منذ نشأته فى نهار دائم ، بسبب تعاقب شروق شمسية ..

واستعد (نور) أيضا للضربة الثانية ..

وكشف (هونور) أمر الخائن الحقيقى ، الذى خدع الجميع ..

ولكن فجأة ، ظهر (أجور) قائد فرسان الإمبراطور الجلوريالى على شاشات البث ، وأعلن أنه عثر على نقطة ضعف رهيبة ، بالنسبة لـ (نور) وفريقه ..

وعلى شاشات البث ، المنتشرة فى الكوكب بأكمله ، وجد (نور) ورفاقه أمامهم ما فجر فيهم الذهول ..

كل الذهول .. (*)

* * *

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزءين الأول والثانى (لهيب الكواكب) ، و (تيران الكون) .. المغامرتين رقمى (٩٧) و (٩٨) .

لثانية أو أقل ، تجمّد (نور) ورفاقه تماما ، داخل مخبأ المقاومة السرى ، وهم يحدقون فى شاشة البث الخاصة ، التى تنقل إليهم بيان (أجور) ، قائد الفرسان الجلوريالى ، وتعلقت عيونهم بذلك الشخص ، الذى يقف إلى جوار (أجور) ، داخل قفص من الطاقة ، يحيط به حارسان شديدان ..

ولم يكن ذلك الشخص من غزاة (جلوريال) ..

ولا حتى من شعب (أرغوران) ..

لقد كان بشريًا ..

بشريًا من سكان كوكب (الأرض) ..

آخر بشرى يتوقع (نور) ورفاقه رؤيته ، فى هذه اللحظة بالذات ..

وبكل الدهشة واللوعة واللهفة فى أعماقها ، قفزت (نشوى) من مقعدها ، صارخة :

ـ إنه (رمزى) .. (رمزى) .. إنه لم يمت .. مازال على قيد الحياة ..

غمغم (أكرم) فى ذهول :

ـ مستحيل !

وهتفت (مشيرة) :

ـ إنه هو .. من المستحيل أن تكون خدعة !

أما (سلوى) و (محمود) ، فقد بقيا على صمتهما وذهولهما ، وشاركا (نور) التحديق فى الشاشة ، التى عادت تحمل وجه (أجور) وحده ، وهو يبتسم فى ثقة وشماتة ، قائلا :

ـ هل رأيتم هذا ؟.. لا تتصوّروا أن عيونكم تخدعكم ، أو أن ما ترونه مجرّد وهم صناعى ، اختلقناه بوسائل تقنية متطوّرة .. كلاّ أيها السادة .. نحن نعمل بأسلوب مختلف تمامًا .. إننا أقوى من أن نحاور ونناور .. لقد اعتدنا ضرب هدفنا مباشرة ، دون تردّد أو مواربة .

ثم اعتدل فى مقعده ، مستطردًا فى غرور :

ـ لهذا أصبحنا نملك نصف الكون .

غمغم (أكرم) ، وهو يقبض على مسدسه الآلى فى غضب :

ـ أيها الوغد .

أشار إليه (نور) فى اهتمام شديد ، قائلاً :

ـ مهلاً .. دعنا نستمع إليه ..

ابتلع (أكرم) غضبه ، ولاذ بالصمت فى حنق ، وراح يستمع مع الجميع إلى (أجور) ، الذى يتابع فى تفاخر :

ـ ولست أتوقع منكم تصديق ما أقول على الفور ؛ لذا فسأمنحكم ما يؤيّد قولى هذا .

ومال إلى الأمام ، مستطردًا :

– زميلكم هذا اسمه (رمزى) ، وهو خبير بالطب النفسى ، ويعمل ضمن فريق (نور) ، منذ عام ألف وتسعمائة وتسعة وتسعين بتاريخكم الأرضى ، وكان يقود مقاتلة محدودة ، لشق الطريق أمام (أرغوريا) ، عبر طريق (ميروريا) ، وقبل أن يعود بها إلى السفينة الأم ، نجحت إحدى مقاتلاتنا فى إصابته ، ففقد السيطرة على مقاتلته ، وهوى بها فى غياهب الفضاء .

قال (محمود) فى حنق :

– كيف عرف كل هذا ؟

لم يسمع جوابًا من رفاقه ، الذين تعلقت مشاعرهم كلها بشاشة البث ، ولكن العجيب أن الجواب أتاه على لسان (آجور) نفسه ، وهو يتابع :

– كل هذا تعرفونه ، ولكن الذى تجهلونه هو أن صديقكم هذا لم يضع فى قلب الفضاء ، وإنما وجد نفسه فجأة وسط مقاتلاتنا الثلاثين ، التى كانت فى طريقها إلى (ميروريا) ، لدعم مقاتلاتنا الأخرى هناك ، وكإجراء طبيعى ، أسر مقاتلونا زميلكم ، وعادوا به إلى هنا ، وبوسائلنا الخاصة حصلنا منه على هذه المعلومات .

تفجرت الدموع فجأة من عينى (نشوى) ، ودفنت وجهها بين راحتيها ، وهى تنتحب قائلة :

– (رمزى) حىّ .. حمدًا لله .. حمدًا لله ..

رمقها (أكرم) بنظرة متوترة ، وهو يقول :

– لا أحد يدرى ما إذا كان هذا من حسن حظه ، أو من سوء بخته ..

رفعت عينيها إليه فى هلع ، هاتفة :

– ماذا تقصد ؟

همّ بإجابة سؤالها ، إلا أن الصورة تباعدت مرة أخرى ، ليظهر (رمزى) مرة أخرى على الشاشة ، داخل قفص الطاقة ، و (آجور) يشير إليه قائلاً :

– أما بالنسبة للمعلومات الحيوية الأخرى ، فلدينا وسائل مختلفة ومضمونة للحصول عليها ..

أشار (أكرم) إلى الشاشة ، وقال فى ضيق :

– ها هو ذا ما أقصده .

تعلقت عيناها بالشاشة ، وقد تركز المشهد كله على (رمزى) ، وصوت (آجور) يقول فى سخرية شامتة .

– كهذه الوسيلة مثلاً ..

لم يكد يتمّ قوله حتى ضغط أحد الحارسين جانب قفص الطاقة ، فتألق سقفه كله بوهج برتقالى ، وأطلق (رمزى) صرخة رهيبة ، ارتجفت لها قلوب الجميع .. صرخة إنسان يحتضر .

* * *

وأطلق (رمزى) صرخة رهيبة ، ارتجفت لها قلوب الجميع ..

٢ ــ أين المفر ..

تطلّع (ديجنتى) إلى (هونور) لحظة فى دهشة ، قبل أن يهتف فى حدة ، وهو يدفعه بعيدًا عنه :

ــ ما الذى تقصده بقولك إنك كشفت الخائن ؟.. أنت الخائن نفسه .

فوجئ بـ (هونور) ينتزع سلاحه ، ويصرخ فجأة :

ــ لا .. لا تقتلنى يا (ديجنتى) .. اسمعنى أولًا .

تراجع (ديجنتى) بسرعة ، وخُيّل إليه أن (هونور) سيطلق أشعة سلاحه عليه ، ولكن عيناه اتسعتا فى دهشة وتساؤل ، عندما أطلق (هونور) أشعته مرتين ، فى سقف الحجرة ، وصرخ :

ــ آآآه .

ثم انتزع جهازًا صغيرًا من حزامه ، ألقاه أرضًا ، وسحقه بقدمه فى عنف ، فهتف (ديجنتى) :

ــ ماذا أصابك يارجل ، .. هل جننت ؟!

أعاد (هونور) مسدسه إلى حزامه ، وهو يشير إلى الجهاز المحطم ، قائلًا :

ـ كان من الضرورى أن أفعل هذا ، فذلك الجهاز اللعين ينقل كل ما ننطق به إلى ذلك الخائن .

قال (ديجنتى) فى دهشة .

ـ إلى من ؟!

انحنى (هونور) فى مرونة ، والتقط شيئا صغيرا من بين حطام الجهاز ، وقربه من عينى (ديجنتى) ، قائلا :

ـ انظر .. إنه لاقط صوتى دقيق ، من ذلك الطراز المتطور ، الذى تستخدمه قوات الاحتلال .

حدق (ديجنتى) فى الجهاز ، وهتف :

ـ ومن أتى به ؟.. بل ما الذى يعنيه كل هذا ؟

ألقى (هونور) اللاقط بعيدا فى حدة ، وهو يقول :

ـ هذا الجهاز ، الذى يسبب الارتباك لعيون الحراسة ، لم يكن يبعدها عنى لوسامتى وأناقتى ، ولكن لأنه يحوى ذلك اللاقط الجلوريالى الصنع .. وعن طريقه استطاع الخائن الحقير سماع كل ما ننطق به ، بعد أن أهدانى ذلك الجهاز ، وطالبنى بأن يكون هذا سرا بيننا .. آه من الحقارة والخسة .. لقد سمعك وأنت تحدد لى نقطة هبوط المنفذ وموعد وصوله ، عبر هذا الجهاز ، وتصور أن ثقتك بى ستجعلك تطلعنى على الحقيقة ، وهكذا نقل الزمان والمكان لجنود (جلوريال) ،

دون أن يدرك أنها خدعة .. وحتى عندما كشف هذا بعد أن نقل إليه الجهاز نفسه حديثك ، عندما أتيت لإلقاء القبض علىّ ، وجد أنه من المفيد له أن أصبح أنا الخائن فى عيون الجميع ، حتى يظل هو داخل دائرة الثقة .

وعاد يشير إلى الجهاز ، مستطردا فى غضب .

ـ ومن المحتم أنه سمع حديثنا الآن ، وأدرك أننى كشفت أمره ، لذا كان من الضرورى أن ألعب هذا الدور السخيف ، لأقنعه بأنك قتلتنى بسرعة ، قبل أن أفصح عن شكوكى ، وإلا لانتابه الخوف ، وبادر بالفرار ، قبل أن أمزقه بيدىّ هاتين ..

صمت (ديجنتى) طويلا ، وهو يحدق فى وجه (هونور) فى شك ، ثم قفز يلتقط سلاحه بغتة ، وصوبه إليه قائلا :

ـ ما تقوله مجرد خيال مريض يا (هونور) ! .

عقد (هونور) ساعديه أمام صدره ، وتطلع إليه فى هدوء ، وكأنما لا يعنيه السلاح المصوب إلى رأسه ، فى قليل أو كثير ، وهو يقول :

ـ حسن .

مط (ديجنتى) شفتيه ، وخفض سلاحه ، وهو يقول :

ـ ولكن العجيب أننى أصدق كل كلمة نطقت بها .

ابتسم (هونور) فى ارتياح ، وقال :

ـ عظيم .. دعنا ننطلق إلى منزل الخائن إذن ، ونفصل رأسه عن جسده .

بدا (ديجنتى) شديد الصرامة ، فى صوته وهيئته ، وهو يقول :

ـ مستحيل !

اندفع (هونور) نحو الباب ، قائلا :

ـ لا تقل مستحيل ، لابد أن ..

رفع (ديجنتى) سلاحه فى وجهه مرة أخرى ، وهو يقول فى صرامة شديدة :

ـ قلت : لا يا (هونور) .. لن تقتل الخائن ، ولو أنك حاولت مغادرة هذا المنزل ، فلن أتردد فى ...

وصمت لحظة ، ثم تابع فى حزم مخيف :

ـ فى أن أقتلك .

وكان يعنى ما يقول ..

يعنيه تماما ..

* * *

لم تحتمل (نشوى) أبدا تلك الصرخة ، التى أطلقها (رمزى) ، داخل قفص الطاقة ، فاندفعت نحو الشاشة ،

وكأنها ستخترقها لإنقاذه ، وهى تصرخ :

ـ لا .. لا .. إنهم يقتلون (رمزى) .

أمسك بها (نور) ، هاتفا :

ـ رويدك يا (نشوى) .. لا تفقدى السيطرة على مشاعرك .

صرخت ، وهى تقاوم والدها فى استماتة :

ـ اتركنى يا أبى .. اتركنى .. (رمزى) يحتاج إلىّ .

قال (نور) فى مرارة :

ـ إنه يحتاج إلينا جميعا ، ولكن ليس بهذه الوسيلة .. الاندفاع الأخرق لن ينقذه ، وإنما قد يقتلنا جميعا .

كان (رمزى) قد توقف عن الصراخ على الشاشة ، وانهار فى قاع القفص ، وقسماته كلها تشف عن معاناة وآلام رهيبة ، فارتجف جسد (نشوى) لحظات ، ثم انفجرت باكية فى انهيار ، فأسرعت إليها (سلوى) ، واحتوتها بين ذراعيها ، وهى تشاركها دموعها ، فى نفس الوقت الذى قال فيه (آجور) على الشاشة فى سخرية :

ـ هذه عينة بسيطة مما يمكن أن يلاقيه زميلكم ، فى أثناء استجوابنا له ، ولكننا لسنا قساة القلوب فى الواقع .. سنمنحه فرصة للنجاة من هذا العذاب الرهيب .. فرصة واحدة .

ثم مال إلى الأمام ، مستطردا فى صرامة :

ـ أن يسلم المنقذ نفسه إلينا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وبدا القلق على وجوه الجميع ، و(آجور) يضيف :

ـ وسأمنحه يوما واحدا ليفعل .. يوم من أيام (أرغوزان) .. أى ما يساوى عشرين ساعة أرضية من زمنكم تقريبا .. أو بمعنى أدق ، سنبقى على حياة صديقكم ، حتى شروق الشمس الصغرى ..

ثم قهقه ضاحكا ، وهو يستطرد :

ـ لآخر مرة ..

وارتفعت ضحكة مخيفة بغيضة ، وصورته تتلاشى تدريجيا على الشاشة ، فهتف (أكرم) فى غضب :

ـ أيها الوغد الحقير .

ولكن الصورة اختفت تماما ، وران معها صمت مطبق على المكان ، وعيون الجميع تتطلع إلى (نور) ، الذى ظل صامتا جامدا ، يتطلع إلى الشاشة الخالية ..

وطال الصمت ، قبل أن يقطعه (بودان) ، وهو يسأل فى قلق :

ـ ماذا ستفعل أيها القائد ؟

بقى (نور) صامتا جامدا ، فى حين قالت (سلوى) فى توتر :

ـ إنه لن يسلمهم نفسه بالطبع .

تفجرت الدموع مرة أخرى فى عينى (نشوى) ، وتمتمت (مشيرة) :

ـ هل سنتركهم يقتلون (رمزى) ؟

أما (أكرم) ، فقال فى صرامة :

ـ أنا أعلم ما ينبغى أن نفعله .

ثم جذب إبرة مسدسه الآلى فى عنف ، وهو يستطرد :

ـ سنقتحم المكان ، الذى يحتفظ فيه هؤلاء الأوغاد بصديقى (رمزى) ، وننتزعه من بين أيديهم .

وهنا التفت إليه (نور) ، وقال فى خفوت عجيب :

ـ وكيف ستفعل هذا ؟

صاح (أكرم) فى حدة :

ـ سأطلق النار على رءوس الجميع .

سأله (نور) فى مرارة :

ـ أتظن هذا يجدى ؟

احتقن وجه (أكرم) ، وبقى صامتا لحظات ، ثم لم يلبث أن لوح بيده فى حنق ، هاتفا :

ـ اللعنة !

أدار (نور) عينيه فى وجوه الجميع ، ثم قال :

ـ اسمعونى جميعا ، وحاولوا أن تفهموا كلماتى

جيدا .. إنها لحظة من أكثر لحظات حياتى صعوبة ، فلو أننى فى موقف آخر ، لما تردّدت فى التضحية بحياتى ، وتسليم نفسى للأعداء ، لو أن هذا يضمن نجاة (رمزى) ، ولكنى كقائد لكل فرق المقاومة ، وكرجل مسئول عن حياة شعب بأكمله ، فإن قرارى سيختلف كثيرا .. واختلاف القرار ليس بسبب خشيتى على نفسى ، ولكن بناء على عدة عوامل ، حاولت دراستها وترتيبها .. وأول هذه العوامل هو أن الجلوريالليين لن يطلقوا سراح (رمزى) ، لو أننى استسلمت لهم ، بل سقتلوننا معا .. بل وسيقتلونكم جميعا أيضا .

قال (أكرم) فى عصبية :

ــ مازلت أصرّ على رأيى .. الوسيلة الوحيدة ، هى أن نهاجم .

أجابه (نور) :

ــ أوافقك تماما على هذا الرأى يا (أكرم) ؛ فأنا أيضا أومن بمبدأ (نابليون بونابارت) .. الهجوم خير وسيلة للدفاع .. ولكن هذا الهجوم يجب أن يتمّ بطريقة مدروسة ، وبناء على معلومات مسبقة ، وإلا فسيتحول الهجوم إلى لعبة انتحارية ، لن نغنم منها سوى الهزيمة الماحقة .

ثم التفت إلى (بودان) ، وقال :

ــ لقد أخبرتنى أن لكم بعض الجواسيس ، بين صفوف الجلوريالليين .. أليس كذلك ؟

أجابه (بودان) بسرعة :

ــ بالطبع .. الكثير من جنود وضباط (جلوريال) ، يرفضون تماما تلك السياسة القمعية الإستعمارية ، التى انتهجها إمبراطورهم السابق ، ويسير على نهجها ابنه الإمبراطور الحالى :

انتبهت (سلوى) للعبارة ، وهتفت فى جزع مفاجئ :

ــ ابنه ؟!

التفت إليها (بودان) ، وقال ، وهو فى حيرة من جزعها :

ــ نعم .. إمبراطور (جلوريال) الحالى هو ابن الإمبراطور السابق ، الذى لقى مصرعه فى كوكبكم .

هتفت فى ارتياع :

ــ يا إلهى !.. كم أخشى لو أن ..

قاطعها (نور) بإشارة من يده ، فكتمت ما تبقّى من عبارتها فى حلقها ، وإن شفّ شحوبها الشديد عما يعتمل فى نفسها ، فقال (بودان) فى انفعال :

ــ هذا لا يروق لى .. أهناك ما أجهله ، بشأن إمبراطور (جلوريال) ؟

لوح (نور) بيده ، قائلا :

ـ لا عليك .. أخبرنى أولا .. هل يمكننا الحصول على بعض المعلومات العاجلة ، عن طريق جواسيسك ؟

أجابه (بودان) :

ـ بالطبع .. ما الذى ترغب فى معرفته ؟

قال (نور) فى اهتمام :

ـ أولا : أريد معرفة المكان ، الذى يحتجزون فيه (رمزى) ، وثانيا : أريد خريطة كاملة لكل مداخل ومخارج ودروب القصر الإمبراطورى .

أومأ (بودان) برأسه ، قائلا :

ـ لا توجد أية مشكلات ، بالنسبة للمطلبين ، وبالذات الثانى ، لأن القصر الإمبراطورى الحالى ، هو نفس القصر ، الذى كان يقيم فيه (بودون) ، ولدينا تخطيط كامل له .

قال (نور) :

ـ عظيم .. فى هذه الحالة لا ينقصنا سوى ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع فى المكان أزيز متصل ، فالتفت الجميع إلى مصدره ، وقالت (سلوى) فى توتر :

ـ ما هذا بالضبط ؟

اتجه (بودان) إلى أحد الأركان ، وهو يقول :

ـ إنها رسالة خاصة ، من نائبى (ديجنتى) ، عبر قناة اتصال بالغة السرية والتعقيد ، لا يمكن تعقبها أو كشف مصدرها ، بأى حال من الأحوال .

وضغط أحد الأزرار ، مستطردا :

ـ ماذا هناك يا (ديجنتى) ؟

أتى صوت (ديجنتى) ، وهو يقول :

ـ سيدى .. لقد كشفنا أمر الخائن .

تبادل الجميع نظرة حائرة ، وقال (بودان) فى دهشة :

ـ ما الذى يعنيه قولك هذا بالضبط !.. ألم نعلم جميعا أن (هونور) ..

قاطعه (ديجنتى) فى حماس :

ـ كلا يا سيدى .. (هونور) ليس الخائن .. لقد شرح لى الموقف كله ، وكشف أمر الخائن الحقيقى .

هتف (بودان) :

ـ وكيف هذا ؟

روى له (ديجنتى) ، كل ما دار ، بينه وبين (هونور) ، وانتهى بحديثه قائلا :

ـ ولقد أراد (هونور) مهاجمة الخائن ، ولكننى منعته ، وقلت له : إننى لن أسمح بمغادرته منزلى ، إلا بعد استشارتك ، حتى لو اضطررت لقتله .

ولحق به صوت (هونور) ، وهو يقول فى حنق :

ـ أخبره أنك كدت تقتلنى بالفعل .

عقد (أكرم) حاجبيه ، وأمسك ذراع (بودان) فى قوة ، قائلا :

ـ احترس .. (هونور) هذا بصحبته ، وربما يهدده بشىء ما ، ويجبره على قول هذا .

أزاح (بودان) يده فى هدوء ، وقال :

ـ اطمئن .. لو أن (ديجنتى) لا يقول هذا بمحض إرادته ، لما بدا حديثه بقوله (سيدى) ، ولبدأه قائلا : « أيها القائد » .

ازداد انعقاد حاجبى (أكرم) ، فقال (نور) :

ـ إننا نستخدم أسلوبا مشابها فى مخابراتنا .. مفتاح حديث بسيط ، لا يثير الشبهات ، ولكنه يرشد إلى حرية الحديث ، أو قوله تحت التهديد .

سأله (أكرم) :

ـ وهل تطمئن إلى هذا الأسلوب ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابا ، وقال :

ـ كل الاطمئنان .

وفى نفس اللحظة تقريبا ، كان (ديجنتى) يسأل ، عبر جهاز الاتصال الخاص :

ـ والآن بم تأمرنا يا سيدى ؟.. هل نهاجم الخائن ونكشف أمره ؟

التفت (بودان) إلى (نور) ، وسأله :

ـ ماذا تقترح ؟

لوّح (نور) بيده ، وقال فى حزم :

ـ كلا .. دعهما لا يفعلان هذا ، فى الوقت الحالى ، وليبق كل منهما فى موقعه ، حتى نعيد الاتصال بهما .

نقل (بودان) أمر (نور) إلى (ديجنتى) ، وأنهى الاتصال ، وهو يتطلع مترقبا إلى (نور) الذى استغرق فى تفكير عميق ، فتمتمت (مشيرة) :

ـ أراهن أن فكرة عظيمة تولد الآن .

رفع (نور) عينيه إليها ، وبدا بريقهما واضحا ، وهو يقول :

ـ أنت على حق .

سألته (نشوى) فى لهفة :

ـ ما الذى يدور فى عقلك يا أبى ؟

رفع يده ، قائلا :

ـ الكثير يا (نشوى) .. أفكر فى إصابة الأهداف كلها بضربة واحدة .. أعاقب الخائن ، وأنقذ (رمزى) ،

وأسخر من المحتلين فى آن واحد .

سأله (أكرم) فى شغف :

ـ وكيف يمكننا الفوز بكل هذا ؟

ازداد بريق عينى (نور) ، وهو يقول :

ـ استمعوا إلىّ جيدًا .

وراح يروى خطته ، التى بدت لهم مدهشة .. مدهشة بحق .

* * *

٣ ـ اجتماع طارئ !.

انتهى (آرون) ، أحد قادة مجلس المقاومة السُباعى ، فى ارتداء ثيابه ، والتقط سلاحه من مخبأ خفى ، ودسّه فى حزامه ، ثم اتجه إلى باب منزله ، وفتحه ، و ...

« أهلاً يا (آرون) .. أكنت تستعد للخروج ؟ .. » .

فوجئ (آرون) بالعبارة ، وجفل لحظة ، ثم حدّق فى وجه صاحبها بدهشة ، قائلاً :

ـ (ديجنتى) !! .. يالها من زيارة مباغتة !.. لم أكن أتوقّع أن ..

قاطعه (ديجنتى) فى هدوء ، وكأنه لم يسمعه :

ـ من حسن حظى أنك مرتد ثيابك ، .. هيّا .. سننطلق على الفور .

سأله (آرون) فى قلق :

ـ إلى أين ؟

أجابه (ديجنتى) ، وهو يجذبه خارج منزله فى رفق :

ـ هناك اجتماع طارئ عاجل ، فى مكان جديد .

ردد (آرون) فى دهشة :

ـ اجتماع طارئ وعاجل ؟!

قال (ديجنتى) ، وهو يدفعه إلى الأمام ، على نحو يشفّ عن العجلة :

ـ نعم يارجل .. سنلتقى مع القائد الجديد .. المنقذ .

هتف (آرون) :

ـ حقًا ؟! .. هل سنلتقى به ؟

أجابه (ديجنتى) :

ـ نعم .. وبالإمبراطور (بودون) أيضًا .

قال (آرون) فى توتر :

ـ قل لى يا (ديجنتى) : هل الإمبراطور حقًا على قيد الحياة ؟! لست أصدّق هذا فى الواقع .. كلنا نعلم أنه ذهب إلى الأرض ، و ...

قاطعه (ديجنتى) فى هدوء ، يحمل الكثير من الحزم :

ـ لا تصدّق كل ما تسمعه .

قفزت الدهشة من عينى (آرون) ، وبدا لحظة وكأنه سيقول شيئًا ما ، إلا أنه لم يلبث أن ابتلع لسانه كله ، ولاذ بالصمت التام ، وهو يقطع مع (ديجنتى) شوارع المدينة ، حتى بلغا منطقة مقفرة ، تحوى بعض الأطلال القديمة ، التى دكّتها أسلحة المحتلين ، فمال

(ديجنتى) نحو بناء قديم ، وضغط حجرًا فى بقايا أحد جدرانه ، فانفتحت فجوة فى الأرض ، عبرها وهو يقول لـ (آرون) فى حزم :

ـ اتبعنى .

تبعه (آرون) فى سرعة ، وسأله والفجوة تنغلق خلفهما :

ـ ما هذا بالضبط ؟.. إنه مكان لم نسمع به قط ، وعلى الرغم من هذا فهو مجهّز بأضواء ذاتية ، وممرات ، و ...

قاطعه (ديجنتى) مرة أخرى :

ـ إنه مخبأ قديم ، كانوا يستخدمونه لاتقاء موسم العواصف الكبرى .

سأله (آرون) :

ـ ولماذا أخفيت أمره عنا حتى الآن ؟

أشار إليه (ديجنتى) أن يصمت ، وهو يقطع معه الممرات الداخلية للمخبأ ، حتى بلغا حجرة واسعة ، استقبلهما فيها قادة المقاومة الأربعة (تـرات) و (ريستا) و (نوفسا) و (كالوا) ، وتبادل الجميع تحية مقتضبة ، والتساؤلات تبدو واضحة فى عيونهم ، ممتزجة بالفضول واللهفة ، فيما عدا (ريستا) ، التى بدت شديدة الحزن ، وهى تغمغم :

وضغط حجرًا فى بقايا أحد جدرانه ، فانفتحت فجوة فى الأرض ،
عبرها وهو يقول لـ (آرون) فى حزم : — اتبعنى

— هناك خطأ ما يا رفاق .. لست أصدّق أبدًا أن (هونور) خائن .

أجابها (ترات) فى صرامة :

— لقد انتهينا من مناقشة هذا الأمر يا (ريستا) .. كلنا لا نصدّق أنه كان هناك خائن بين صفوفنا ، ولكنها الحقيقة .. هيا .. لا تجعلى حبك لذلك الوغد يعمى عينيك .

هتفت فى حدة :

— (هونور) ليس وغدًا .

قال (ديجنتى) فى هدوء :

— تقصدين أنه لم يكن كذلك .

التفتت إليه فى حدة ، وهتفت :

— ماذا تعنى ؟!

شدّ قامته ، وهو يقول فى حزم :

— لم يعد هناك وجود لـ (هونور) يا (ريستا) .. لقد عثرت عليه .. وقتلته .

أطلقت صيحة هلع ، كتمتها بكفها ، وهى تحدّق فى وجه (ديجنتى) فى ارتياع ، فى حين سرت همهمة دهشة فى المكان ، قبل أن يغمغم (كالوا) :

— حسنًا فعلت .

أما (نوفسا) فمطت شفتيها فى ضيق ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فى حين هتفت (ريستا) فى لوعة :

ـ لقد أخطأت يا (ديجنتى) .. يوما ما ستدرك أنك كنت مخطئا .. وستندم .. ستندم كثيرا على ما فعلت .

بدت ملامح (ديجنتى) جامدة ، وهو يقول :

ـ اطمئنى يا (ريستا) .. لست أعتقد أننى سأندم أبدا ، على أى شئ فعلته ، حتى هذه اللحظة .

احتقن وجهها فى غضب ، وهمت بقول شئ ما ، عندما هتف (كالوا) فجأة ، فى انفعال جارف :

ـ الإمبراطور .

التفت الجميع فى سرعة ، إلى حيث تحدق عينا (كالوا) ، ثم هبوا واقفين ، وهم يتطلعون فى تبجيل ودهشة ومهابة إلى (بودان) ، الذى ارتدى ثياب شقيقه ، فبدا وكأنه بالفعل الإمبراطور (بودون) ، فارتفعت قبضات الجميع فى آن واحد ، وانطلق هتافهم :

ـ المجد لـ (أرغوران) .

أشار إليهم (بودان) بالجلوس ، وتعلقت عيونهم بذلك الأرغورانى ، الذى جاء بصحبة إمبراطورهم ، وغمغم (ترات) فى دهشة شديدة :

ـ مولاى .. كم تسعدنا رؤيتك ، ولكننا علمنا منذ زمن أنك ..

قاطعه (بودان) بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

ـ لن نناقش هذا يا (ترات) .. الآن على الأقل .

ثم التفت إلى الأرغورانى ، الذى جاء بصحبته ، مستطردا :

ـ الأمر عاجل وخطير ، وستستمعون الآن إلى قائدكم الأعلى .

تعلقت العيون كلها بذلك الأرغورانى ، الذى ابتسم قائلا :

ـ مرحبا بكم جميعا .. يسعدنى أن نلتقى لأول مرة ، وأعتقد أن أول ما نفعله هو أن نتعارف .

وفى هدوء ، انتزع القناع الأرغورانى عن وجهه ، فبدت صورته الأرضية واضحة أسفله ، وهتف (آرون) مشدوها :

ـ المنقذ !!

خفقت قلوب الجميع فى قوة ، وهبوا من مقاعدهم مرة أخرى ، وكأنهم سيندفعون نحو (نور) ، الذى استوقفهم بإشارة من يده ، قائلا :

ـ مهلا يا أصدقائى .. أنا سعيد برؤيتكم ، وأعتقد أنكم أيضا سعداء برؤيتى ، ولكننا لن نضيع دقيقة واحدة الآن ، فلدينا عمل عاجل ، نحتاج إلى إنجازه .

عادوا يجلسون جميعًا ، وهم يتطلعون إليه فى انتباه منبهر ، وهو يتابع فى حزم واضح ، أضفى عليه المزيد من الرهبة والمهابة :

ـ لقد أعددت خطة محكمة ؛ لتوجيه ضربة قاسية للمحتلين ، وتلقينهم درسًا لا ينسونه بسهولة .

ورفع كفه ، ملوّحًا بسبّابته ووسطاه ، وهو يستطرد :

ـ وأمامنا ساعتان فحسب ، قبل تنفيذ الخطة ..

قالها وشفتاه تحملان ابتسامة هادئة ، على نحو مثير للدهشة .

وللقلق ..

* * *

مطّ (آجور) شفتيه ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويتابع حركة العمل فى قسم أبحاث الفضاء ، قبل أن يسأل كبير المسئولين هناك فى صرامة :

ـ متى يمكنكم الانتهاء من صنع هذا القرص ؟

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ بعد ثلاثة أيام على الأكثر يا سيّدى .. وعملية إطلاقه فى مداره تحتاج إلى يوم آخر ، وبعدها سيتغيّر المناخ فى (أرغوران) إلى الأبد .

قال (آجور) :

ـ أتعنى أنه سيصبح هناك ليل ، لم يعرفه الكوكب فى حياته قط ؟

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، قبل أن يقول :

ـ بل سيصبح هناك تغيّر تام فى مناخ الكوكب ، فتعاقب شروق شمسين على (أرغوران) ، جعله يحيا فى نهار دائم ، وحافظ على درجة حرارته ، بحيث تصلح لحياة مخلوقاته ، وخاصة بعد أن يبرد قلب الكوكب تمامًا ، ولم تعد تنبعث من مركزه حرارة كافية ، وعندما تختفى أحد شمسيه بغتة ، ستنخفض درجة حرارته كثيرًا ، مما ينعكس على الطقس نفسه .

بدا الاهتمام على وجه (آجور) ، وهو يسأله :

ـ ما الذى نتوقّع حدوثه ، كنتيجة لهذا الليل الصناعى ؟

أجابه الرجل ، وهو يلوّح بذراعيه :

ـ موجة برد شديدة ، تسيطر على الكوكب بأكمله ، حيث تنخفض درجات الحرارة إلى حد لم يعهده سكان (أرغوران) قط ، حتى أنهم سيقبعون فى بيوتهم ، طوال الليل الصناعى ، وربما يلقى المئات منهم مصرعهم ، فى الأسابيع الأولى ، قبل أن يستوعبوا كيفية مواجهة ذلك البرد القارص .

تضاعف اهتمام (آجور) ، وهو يسأل :

ـ كل هذا لأننا حجبنا شمسهم الصغرى ؟! .. ماذا يحدث إذن ، لو حجبنا الشمس الكبرى ؟

لوّح الرجل بكفه فى قوة ، وهو يجيب :

ـ كارثة .. لو أننا فعلنا هذا ، فسنكون كمن يبدأ عصرًا جليديًا على الكوكب .

بدت علامات التفكير العميق على وجه (آجور) ، وهو يتمتم ، وكأنه يحدّث نفسه :

ـ نبدأ عصرًا جليديًا !! .. أراهن أن هؤلاء الأغبياء لم يسمعوا حتى كلمة جليد هذه ، ولا يمكنهم استيعاب معناها .

ثم رفع عينيه إلى الرجل ، وقال فى حزم :

ـ احجب شمسهم الكبرى .

شهق الرجل ، وتراجع لحظة كالمصعوق ، قبل أن يسأل :

ـ سيّدى .. هل تدرك ما يعنيه هذا ؟

زمجر (آجور) فى شراسة ، وهو يقول :

ـ أنت قلتها بنفسك يا رجل .. سنبدأ عصرًا جليديًا على (أرغوران) .

وبرقت عيناه فى وحشية ، مع استطرادته :

ـ إنها أفضل خطة فى تاريخنا كله .. خطة وضع كوكب بأكمله داخل ثلاجة هائلة .. هذا يروق لى يا رجل .. يروق لى بشدة .

وتحوّل بريق عينيه بغتة إلى ضحكة ..

ضحكة شيطان أثيم ..

* * *

« عصر جليدى ؟! .. » .

نطقها الإمبراطور (سيلبا) بقدر هائل من الدهشة ، وهو يحدّق فى وجه قائد فرسانه ، الذى احتفظ بهدوئه الشديد ، وهو يقول :

ـ نعم يا مولاى .. إنها ضربة لا يتوقّعها أحد قط .. ولا يمكن أن يتوقّعها ذلك المنقذ الأسطورى .. إننا سنقوم بتجميد الموقف ، ولكن ليس من الناحية الفلسفية ، ولكن من الناحية العملية والفعلية .

قال الحكيم (أوراكس) فى قلق شديد :

ـ ولكنها ليست ضربة موجّهة لرجال المقاومة ومنقذهم فحسب يا (آجور) ، وإنما إلى الجميع .. نحن أيضًا سيكون علينا أن نواجه ذلك العصر الجليدى ، الذى تتحدث عنه .

برقت عينا (آجور) ، وهو يقول :

ـ مع فارق شديد الأهمية أيها الحكيم .. وهو أننا سنكون على أهبة الاستعداد لقدومه ومواجهته .. نحن وحدنا سنعلم به ، أما هم فلا .. ثم إننا نعرف ما هو الجليد ؛ فكوكبنا لا يخلو منه ، أما هم ، فنظام الشمس المزدوجة لم يسمح لهم بمجرّد تخيّله .. ألا يمكنك تصوّر الفارق الرهيب .

سأله الإمبراطور :

ـ ولكن ما الذى تتوقّع أن تربحه من هذا ؟

أجابه (آجور) فى حماس :

ـ سنجعلهم ينكمشون ، وينشغلون بقضية البقاء ، وسط هذا الطقس ، الذى لم يعهدوه قط ، والذى سيصيبهم بصدمة عنيفة ، نتحرك نحن بأقصى سرعتنا ، قبل أن يفيقوا منها ، ونكثف ضرباتنا ، ونكشف مراكز المقاومة ، ونسحق ذلك المنقذ الأسطورى .. إنها خطة عبقرية يا مولاى .. صدقنى .

بدا الاهتمام على وجه الإمبراطور ، وراح يهزّ رأسه فى بطء ، ثم قال ، وهو يعتدل فوق عرشه فى حزم .

ـ فليكن .. امض فى خطتك يا (آجور) .

هزّ الحكيم رأسه بدوره ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فالتقط (آجور) نفسًا عميقًا ، وقال بصوت مفعم بالنشوة والظفر :

ـ شكرًا يا مولاى .. شكرًا جزيلاً :

وغادر القاعة الإمبراطورية فى خطوات واسعة سريعة ، وكيانه كله يمتلئ بإحساس عارم بالزهو ، ولكنه لم يكد يصل إلى حجرته ، حتى استقبله حارسه الخاص ، قائلاً :

ـ سيّدى .. (اكس ـ ١) يطلب مقابلتك ، ويقول : إن الأمر عاجل للغاية .

تلاشت نشوة (آجور) ، وحلّ محلّها قلق مشوب بالتوتر ، وهو يقول :

ـ دعه يأتى على الفور .

لم تمض لحظات ، حتى أصبح (اكس ـ ١) داخل حجرة (آجور) ، الذى سأله :

ـ ماذا لديك هذه المرة يا (اكس ـ ١) ؟

أجابه الجاسوس فى توتر :

ـ لقد أجتمع بنا المنقذ .

اتسعت عينا (آجور) فى شدة ، ثم صاح فى غضب :

ـ اجتمع بكم ؟! .. ولماذا لم تخبرنى على الفور أيها الغبى .. قبل أن يبدأ هذا الاجتماع ؟!

تراجع (اكس ـ ١) خائفًا ، أمام غضبة قائد الفرسان الجلوريالى ، ولوّح بذراعيه ، هاتفًا :

ـ لم يكن هناك وقت لهذا يا سيّدى .. لقد كان اجتماعًا

مفاجئا ، أبلغنا خلاله المنقذ بخطته لاقتحام القصر الإمبراطورى ، وإنقاذ زميله .

توقف (آجور) ، وحدق فى وجه الرجل لحظة ، ثم سأله فى عصبية :

ـ اقتحام القصر ؟! يالها من صفاقة ! وما خطته يا رجل ؟

أجابه الخائن فى سرعة :

ـ سيقوم رجال المقاومة بهجوم وهمى ، على ثكنات الحراسة ، وفى أثناء انشغال الجميع بهذا الهجوم ، سيتم هجوم آخر ، على مدخل القصر الخلفى ، يقوده الإمبراطور (بودون) نفسه .

سأله (آجور) :

ـ الامبراطور (بودون) ؟! .. هل صدقت ما أذاعوه يا رجل ؟.. إنها خدعة غبية .

قال الجاسوس فى توتر شديد :

ـ بل الإمبراطور حىّ يا سيدى .. لقد رأيته بنفسى مع المنقذ .. صدقنى يا قائد الفرسان .. الأمر خطير بالفعل هذه المرة .

هزّ (آجور) رأسه ، وكأنه يوافقه على عبارته الأخيرة ، ثم قال :

ـ أعلم هذا يا رجل .. أعلم هذا .. المهم أن تخبرنى بكل ما لديك ، ودع لى بعدها مواجهة الأمر .

ألقى الخائن على مسامعه كل ما لديه ، ثم انتهى قائلا .

ـ ولكن تذكر يا سيدى ما وعدتنى به ، بعد القضاء على المنقذ .

لوّح (آجور) بذراعه ، قائلا :

ـ بالطبع .. بالطبع .. هيا .. انصرف الآن ، وأبلغنى بأى تطوّر يحدث .. هل فهمت ؟

تراجع الجاسوس ، وهو ينحنى قائلا :

ـ فهمت يا سيدى .. فهمت .

وأسرع يغادر المكان ، وهو يفرك كفيه فى طمع .. لقد أبلغ قائد الفرسان بأخطر معلومة فى حياته كلها ، ومن الطبيعى أن يتوقع مكافأة سخية للغاية ..

وغادر الخائن القصر الإمبراطورى ، واتخذ الطريق الخلفى كعادته ، ولكنه لم يكد يقطع مسافة محدودة ، حتى سمع صوتا من خلفه يقول :

ـ هل أنهيت مهمتك القذرة ؟

انتفض جسده كله فى عنف ، عندما ميّز الصوت ، واستدار إلى صاحبه فى ذهول ، هاتفا :

وثب (هونور) نحوه ، وركل السلاح من يده ..

– (هونور) ؟! .. مستحيل ! .. لقد قتلوك .

انقضّ عليه (هونور) فجأة ، ولكمه بكل قوته ، قائلا :

– هل تبدو لك هذه قبضة رجل ميت ؟!

سقط الخائن أرضا فى عنف ، وامتدت يده تنتزع سلاحه ، وهو يهتف :

– إذن فهى خدعة أخرى .

وثب (هونور) نحوه ، وركل السلاح من يده ، قائلا :

– يالليعبقرية !.. هل توصّلت إلى هذا وحدك ؟

ثم هوى على فكه بلكمة أخرى ، مستطردا فى سخرية :

– قل لى أيها الوغد : هل تضاعف الخيانة نسبة الغباء ؟!

انهار الخائن ، وهو يهتف :

– الرحمة .. الرحمة يا (هونور) .

قال (هونور) فى صرامة :

– الخائن لا يطلب الرحمة ؛ لأنه لا يستحقها .

ثم مدّ يده ، وانتزع القناع الذى يخفى به الخائن وجهه ، وهو يضيف :

– بل يستحق القتل .. وبلا رحمة .

وفى وضوح ، بدت ملامح الخائن ، الذى انهار تماما ، وهو يعلم المصير الذى ينتظره ..

ملامح (ترات) ..

* * *

تطلع (نور) فى اهتمام بالغ إلى شاشة الكمبيوتر ، وهو يسأل (نشوى) :

– هل سجلت كل شىء ؟

أجابته بسرعة :

– نعم يا أبى .. جهاز الرصد والتصنت ، الذى غرسته فى ثياب (ترات) ، عندما ربتت على كتفه ، فى نهاية الاجتماع ، يعمل بكفاءة تامة .. لقد سجلنا كل خطوة قام بها ، منذ وصل إلى القصر الإمبراطورى ، وحتى ألقى (هونور) القبض عليه ، وتم تخزين كل هذا فى الكمبيوتر ، وسنحصل بإذن الله على النتائج المطلوبة .

اعتدل قائلا :

– عظيم .. هذا يريحنى كثيرا .

سألته (سلوى) فى قلق :

– أمن الضرورى أن تنفذ هذه الخطة البالغة الخطورة يا (نور) ؟

أجابها فى هدوء حاسم :

– نعم يا (سلوى) .. خطتنا هذه حتمية ، فدخول القصر الإمبراطورى يحقق لنا ثلاثة أهداف رئيسية : إنقاذ (رمزى) ، وإطلاق إشارة تدمير عيون الحراسة ، ورفع علم (أرغوران) على القصر ..

وابتسم (أكرم) ، وهو ينظف مسدسه ، قائلا :

– والقيام ببعض التدريبات المفيدة .

عقدت (مشيرة) حاجبيها ، وهى تقول :

– هذا المزاح لا يروق لى .

رمقها (أكرم) بنظرة جانبية ، قبل أن يقول :

– بالطبع .. ما دام الأمر يتعلق بالدكتور (رمزى) .

احتقن وجهها ، وهى تسأله فى توتر :

– ماذا تعنى بقولك هذا ؟

أشاح بوجهه ، قائلا :

– لن نناقش هذا الأمر الآن .

ازداد احتقان وجهها ، وهمت بقول شىء ما ، لولا أن اعتدل (بودان) فجأة ، أمام جهاز الاتصال ، وهو يقول :

– (نور) .. أعتقد أن المعلومات التى وصلتنا لن تسرك .

التفت إليه الجميع فى تساؤل ، وقال (نور) :

ـ وما هذه المعلومات بالضبط ؟

أجابه فى شىء من الانفعال :

ـ إنهم يحتفظون بصديقك (رمزى) داخل قبو خاص ، محاط بحراسة شديدة ، أسفل القصر الإمبراطورى .

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

ـ إننا لم نكن نتوقع عملية سهلة .

وقال (أكرم) :

ـ سنقاتل بكل قوتنا من أجل (رمزى) .

نقل (بودان) بصره بينهما ، وقال :

ـ المشكلة تكمن فى القتال نفسه .

بدت عبارته غامضة ، حتى أن (أكرم) توقّف عن تنظيف مسدسه ، والتفت إليه ، يسأله فى قلق :

ـ ما الذى تعنيه بالضبط ؟

أجابه (بودان) :

ـ المعلومات لدينا تقول : إن الجلوريالبين قد زوّدوا القبو بجهاز إلكترونى خاص ، يستطيع (آجور) إطلاقه بضغطة زر واحدة ، فى حالة حدوث هجوم من أى نوع ، يستهدف محاولة إنقاذ (رمزى) .

سألته (نشوى) بصوت مرتجف :

ـ وما الذى يحدث ، عندما يضغط هذا الزر ؟

أجاب دون أن يلتفت إليها :

ـ تنطلق أشعة خاصة من سقف القبو ، و..

وصمت لحظة ، قبل أن يخفض عينيه ، مستطردًا فى أسف :

ـ وينسحق صاحبكم تمامًا .

واتسعت العيون كلها فى ارتياع ..

ارتياع بلا حدود .

* * *

٤ ــ قمة الخطر ..

بدا الضابط الجلوريالى أشبه بتمثال من الحجر الصلد ، وهو يجلس أمام الشاشة الكبيرة ، فى مركز المراقبة والرصد ، متابعا حركة شمس (أرغوران) الصغرى ، ثم لم تلبث الحياة أن دبت فى جسده بغتة ، وهو ينتفض فى مقعده ، هاتفا :

ــ ها هى ذى .

كان يشير فى توتر إلى جسم أسود دقيق ، عبر طرف الشمس لجزء من الثانية ، ثم اختفى تماما ، فتراجع هو إلى مقعده ، وتمتم :

ــ إنها دورة منتظمة تقريبا .

أجابه رئيس المركز فى اهتمام :

ــ بل هى دورة شديدة الانتظام ، ياسيدى الضابط ، حتى أننا نستطيع تحديد موعد الظهور التالى للسفينة (أرغوريا) بدقة مدهشة ، لا تزيد احتمالات الخطأ فيها على واحد لكل مليون .

أطل ظفر واضح فى عينى الضابط ، وهو يقول :

ــ عظيم .. هذا ما كنت أرغب فى معرفته بالضبط .

ثم مال بغتة نحو الرئيس ، مستطردا فى صرامة :

ــ ولكن هل يمكنك أن تجزم بقولك هذا ، وتتحمل مسئوليته ؟

ارتجف الرجل ، وهو يجيب :

ــ إنها نتائج علمية يا سيدى ، لا تقبل المراوغة أو المحاباة .

هبّ الضابط من مقعده فى حركة حادة ، جفل لها رئيس المركز ، وانكمش على نفسه ، عندما سمع صوت الضابط الجهورى يهتف :

ــ وهنا مربط الفرس .

ثم شمله انفعال جارف ، جعله يستطرد فى حماس :

ــ لقد وضع رجال المقاومة خطة شديدة الإتقان ، لضمان وصول منقذهم الأسطورى سالما ، وتأمين وجوده على (أرغوران) ، ومن المحتم أن (أرغوريا) جزء ضخم من خطة التأمين هذه ، ولقد أخفت تلك المركبة الإمبراطورية اللعينة نفسها عن مراقبنا ، بذكاء منقطع النظير ، إلا أننا كشفنا أمرها بضربة حظ ، ستتيح لنا فرصة نادرة ، قد لا تتكرر أبدا .

سأله رئيس المركز فى فضول :

ـ أية فرصة ؟

لوّح الضابط بذراعه كله ، وهو يجيب :

ـ فرصة تدمير الغطاء الجوى ، الذى يعتمد عليه الأرغوراتيون .. أو بمعنى أدق .. الغطاء الفضائى .

ثم استدار بجسده كله إلى الشاشة ، مستطردًا :

ـ سننسف سفينتهم الإمبراطورية الأخيرة ، ونمحو من الوجود كله ذلك الاسم السخيف .. اسم (أرغوريا) .

قالها ، وانطلق يقهقه ضاحكا ، وقد شمله انفعال عجيب ..

عجيب للغاية ..

* * *

شدّ (رمزى) قامته ، وبذل قصارى جهده ، ليبدو قويًا متماسكا ، داخل قفص الطاقة ، وهو يستقبل تلك النظرات الثاقبة الفاحصة ، التى يحدجه بها (آجور) ، فى حين بدا له هذا الأخير صامتًا صلبًا ، وهو يتطلّع إليه بملامح جامدة خاوية ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ أراهن على أن رفاقك منهمكون الآن فى وضع خطة لإنقاذك .

كان (رمزى) واثقًا من أنه على حق ، بحكم

علاقاته برفاقه ، وخبرته كطبيب نفسى ، ولكنه تظاهر بالامبالاة ، وهو يقول فى اقتضاب :

ـ ربّما !

أجابه (آجور) فى هدوء :

ـ أنا لا أستخدم لفظ (ربما) هذا قط ، فكل خطوة تربط عندى بكلمة (حتمًا) .. أنا أعرف جيدًا طريقة تفكيركم أيها الأرضيون..عواطفكم تهزم عقولكم دائمًا .

قال (رمزى) فى حزم :

ـ بل قل : إن عقولنا تستخدم عواطفنا ، لننسج خططًا قوية محكمة ، قادرة على خداع الأوغاد مثلك .

بدا الغضب على وجه (آجور) ، وارتفعت راحته بسرعة ، لتضغط جانب القفص ، فتألق الوهج البرتقالى فى سقفه ، وشعر (رمزى) بآلام رهيبة ، تنتشر فى جسده كله ، فصرخ :

ـ أيها اللعين !

ضغط (آجور) جانب القفص مرة أخرى ، وأطلق (رمزى) صرخة ألم أشدّ قوة ، ثم انهار فى قاع القفص ، وهو يلهث فى شدة ، و (آجور) يقول فى صرامة :

ـ إياك أن تنطق بكلمة منافية للأدب هنا .

كان (رمزى) يتمنى أن يبصق فى وجهه ، ولكن الآلام التى تنتشر فى جسده كله منعته من هذا ، فتمتم فى إعياء :

ـ أتمنى أن تنجح خطتهم ويقتلونك .

هزّ (آجور) رأسه فى بطء ، وقال فى ثقة :

ـ لن ينجحوا .

ثم شدّ قامته فى اعتداد ، وراح يسير حول القفص ، متابعًا :

ـ لقد درست طبيعتكم جيدًا يا سكان (سيتا ـ ٣) ، عبر عشرات الملفات ، التى حملها جيشنا ، الذى هزمتموه على كوكبكم ، وخاصة الملف الخاص بذلك المنقذ (نور) .. لقد قرأته أكثر من عشر مرات ، حتى أكاد أجزم بأننى أعرف (نور) هذا منذ صباه ، ويمكننى استنتاج كل ما يجول بخاطره .

ابتسم (رمزى) فى تهالك ، وهو يقول :

ـ خطأ يا هذا .. لا تتصور أبدًا أنك تستطيع استنتاج خطوة (نور) التالية .. إنه قائد عبقرى ، ومن صفات القادة ألا يسيروا أبدًا على وتيرة واحدة ، تسمح لخصومهم باستنتاج خطواتهم القادمة .

قال (آجور) فى سخرية :

ـ هذا ما تتصورونه ، لأن القادة فى عالمكم محدودون ، أما نحن فقد نشأنا فى عالم متفجر ، لا يخلو تاريخه من الحروب إلا لماما ، ومن الطبيعى أن يكون فى أعماق كل منا قائد عظيم ، ومقاتل صنديد ، لا يشق له غبار .. وهذا ما يميزنا عنكم ، ويمنحنا نقطة تفوق واضحة .

غمغم (رمزى) فى سخرية :

ـ كان هذا واضحًا ، فى صراعنا على كوكبنا .

هزّ (آجور) رأسه نفيًا ، دون أن يبدو عليه التأثر ، وهو يقول :

ـ الأمر هذه المرة يختلف كثيرًا ؛ فلقد هزمتمونا على كوكبكم لعوامل شتى (*) منها أن الصراع كان يدور على كوكبكم أنتم ، الذى تألفونه ، وتعتادون التعايش معه ، ويمكنكم الاختفاء بين سكانه فى يسر ، وهذا يختلف تمامًا عن وضعكم هنا ، فكل شىء فيكم يختلف عنا ، وعن سكان (أرغوران) ، ومن السهل تتميزكم من بينهم ، كما يمكن تمييز بقعة سوداء ، على سطح ناصع البياض ، ثم إننا الآن نعرف كل شىء عنكم ، ولم يكن هذا متوافرًا لنا من قبل .. والأهم أنكم استعنتم على كوكبكم بذلك المقاتل الآلى الرهيب ، ولولاه ما كان النصر لكم .

(*) راجع قصة (النصر) المغامرة رقم ٨٠

قال (رمزى) فى حدة :

ـ سكان الأرض كلهم رسموا لوحة النصر والحرية يا رجل ، و (س ـ ١٨) وضع لمساتها الأخيرة فحسب .

ابتسم (آجور) فى سخرية ، وقال :

ـ هكذا ؟! .. يالكم من مغرورين ! .. فليكن .. لن نناقش هذا الأمر الآن .. المهم أنكم الآن لستم على كوكبكم ، وكل شىء هنا تقريبًا ضدكم .

قال (رمزى) ، وهو ينهض فى صعوبة :

ـ ربما كان هذا ما يبدو لكم فحسب .

لوّح (آجور) بيده ، وقال :

ـ أو ما يبدو لك .. إنك ـ كرفاقك ـ نظرت إلى الأمور من الزاوية الخطأ .. لقد خدعكم انتصاركم على كوكبكم ، وأصابكم بالغرور ، وجعلكم تتصوّرون أنكم قادرون على الانتصار علينا ، فىّ أى زمان ومكان .. ولكن هيهات .. لقد أعددت كل شىء هذه المرة ، حتى لا أسمح لكم بالانتصار قط .. أنا واثق من أن رفاقك سيسعون لإنقاذك ، قبل نهاية المهلة التى منحتهم إياها ، ولم يتبق منها سوى سويعات بزمنكم ، وعندما يقدمون على هذه الحماقة ، سيجدون كل شىء فى انتظارهم ، وستنفتح فى وجوههم أبواب الجحيم .

غمغم (رمزى) ، وهو يستعيد تماسكه :

ـ قد يدهشك أنهم اعتادوا اختراق الجحيم بصدور عارية .

هزّ (آجور) كتفيه ، وقال :

ـ دعهم يفعلون ، وستحرق نيران جحيمنا هذه الصدور العارية ، قبل أن تلتهمهم تمامًا .. أما بالنسبة لك ، فالنتيجة واحدة فى الحالتين ، فلو فشلوا ساعدتك معهم فى أكبر ميادين (أرغوران) ، وسأبث المشهد على كل شاشاتنا ، ليشاهد هذا الشعب الغبى لحظة انتصارنا ، على مقاومته الهشة ومنقذه التافه ، أما لو نجحوا ، فلن يكون أمامى إلا أن أضغط زرًا صغيرًا فى حجرتى ، فتنسحق فى مكانك ، قبل أن يخطو أحدهم خطوة واحدة .

سرت قشعريرة باردة فى جسد (رمزى) ، وبدت واضحة لعين (آجور) ، الذى ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـ ستسألنى لماذا أحتفظ بك على قيد الحياة إذن ، ما دمت تنوى القضاء عليك فى الحالتين ؟ أليس كذلك ؟

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا .. لن أسألك .. إننى خبير بالطب النفسى .

وعملى يتضمن دراسة علم النفس الإجرامى ، ولقد تأكدت الآن من أنه لا يختلف ، من كوكب إلى آخر .. إنك تحتفظ بى ، لأننى مازلت ورقة رابحة ، لا يحسن الاستغناء عنها ، إلا للضرورة القصوى ، وعندما تستنفد الغرض منها تماما .

بدا الضيق على وجه (آجور) ، وكأنما عكر صفوه أن يدرك (رمزى) خبيئة نفسه بهذه الدقة ، وقال فى حنق :

ـ استنتاج رائع ، تستحق من أجله مكافأة سخية .

قالها وضغط جانب القفص فى حركة عنيفة ، وصرخ (رمزى) والآلام الرهيبة تكتسح كيانه كله ، وعاد جسده ينهار فى قاع القفص ، و(آجور) يستطرد فى مقت :

ـ هل راقت لك المكافأة ؟

كان (رمزى) ينن ألما ، عندما اقتحم أحد رجال الحراسة القبو ، وهتف فى لهجة تشف عن خطورة الموقف .

ـ سيدى القائد .. لقد عاد (اكس ـ ١) .

التفت إليه (آجور) فى حركة حادة ، وهو يقول :

ـ ماذا ؟ ما الذى جعل هذا الأحمق يعود إلى هنا ؟

وصرخ (رمزى) والآلام الرهيبة تكتسح كيانه كله ، وعاد جسده ينهار فى قاع القفص ..

أجابه الحارس :

ـ لست أدرى يا سيدى القائد .. لقد عاد بوجهه الحقيقى ، دون القناع الذى اعتاد الحضور به ، و .. و...

ضاق (آجور) بتردده ، فصاح به :

ـ أفصح يا رجل .. وماذا !

قال الحارس فى سرعة ، وكأنه حسم تردده بغتة .

ـ ومعه أسير .

تفجرت دهشة عارمة فى وجه (آجور) ، وهو يقول :

ـ أسير ؟! .. أى فعل أحمق هذا ؟

هز الحارس رأسه ، وقال :

ـ لست أدرى يا سيدى القائد .. إنه يبدو شديد التوتر ، ويطلب مقابلتك على وجه السرعة ، ويقول : إن لديه معلومات بالغة الخطورة ، والأهمية .

قال (آجور) فى توتر :

ـ هذا أمر طبيعى ، فقدومه على هذا النحو لا يعنى إلا أنه يحمل أخبارا عاجلة للغاية .

ثم تحرك فى خطوات واسعة سريعة ، مستطردا :

ـ سأراه فى مكتبى على الفور .

ولم تمض دقائق ، حتى كان (آجور) فى حجرته ، وعلى الرغم مما أخبره به حارسه ، إلا أنه لم يستطع إخفاء دهشته ، وهو ينقل بصره بين (ترات) ، الذى بدا شديد التوتر ، وبين (هونور) ، الذى أصابه جرح فى كتفه ، وبدا شديد العصبية ، ثم قال فى حدة :

ـ ماذا حدث يا (ترات) ؟

هتف (ترات) :

ـ كشفوا أمرى أيها القائد .. خدعونى ، وصنعوا لى فخا ، كدت ألقى حتفى فيه ، وبعد خروجى من هنا مباشرة ، فوجئت بـ (هونور) ينقض علىّ ، وكاد يفتك بى ، لولا أننى كنت أحمل سلاحا ، دافعت به عن نفسى ، وأصبته بهذا الجرح فى كتفه ، وأمكننى أسره ، والعودة به إلى هنا ، ليبلغك كل ما لديه .

تطلع (آجور) إلى (هونور) ، وهو يقول :

ـ (هونور) ؟! عضو مجلس المقاومة السباعى ؟!.. وكيف كشفوا أمرك ؟! ماذا حدث ؟

لوح (ترات) بذراعيه ، هاتفا فى توتر بالغ :

ـ لست أدرى أيها القائد .. لقد عرفوا أننى الجاسوس ، الذى ينقل أسرارهم منذ زمن ، ومن المؤكد أنهم يسعون جميعا للقضاء علىّ الآن .. أين أذهب ؟.. ماذا أفعل ؟

تجاهل (آجور) سؤالى (ترات) تمامًا ، والتفت إلى (هونور) يسأله فى حدة وقسوة :

ـ كيف كشفتم الأمر ؟

زمجر (هونور) ، قبل أن يجيب :

ـ لا يمكنك خداع كل الناس كل الوقت .

صاح به (آجور) :

ـ أنتم تسعون لإنقاذ ذلك الخبيـر النفسى .. أليس كذلك ؟

قال (هونور) بلهجة استفزازية :

ـ وسننقذه على الرغم منك .

ابتسم (آجور) فى عصبية ، وهو يقول :

ـ هراء .. انتم واهمون تمامًا .

صاح (ترات) :

ـ لا تقلل من شأنهم يـا سيّدى القـائد .. لقد كشـفوا أمرى .

رفع (آجور) عينيه إليه ، وقال فى حدة :

ـ وهذا ما يدهشنى يا (ترات) .

تراجع (ترات) ، قائلا :

ـ يدهشك ؟! .. ولماذا يدهشك يا سيّدى القائد ؟

أجابه (آجور) فى توتر مشوب بالشك :

ـ ماداموا قد كشفوا أمرك ، فلماذا تركوك تـأتى إلـى هنا ؟ لماذا لم يحاولوا التخلص منك قبل هذا ؟

فرد (ترات) راحته أمامه ، وهو يقول :

ـ بسبب هذا .

حدّق (آجور) فى ذلك الجسم المستقر فـى راحتـه ، وهتف :

ـ جهاز تصنت ؟! .. كنت أظن أننـا دمرنـا كل هذه الأشياء ، منذ احتلالنا لـ (أرغوران) .

قال (هونور) فى سخرية .

ـ أنتم تظنون أشياء كثيرة ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، هوى أحد الحارسين المصاحبين للقائد على ظهره بسلاحه قائلا فى قسوة :

ـ لا تتحدث مع القائد هكذا .

استدار إليه (هونور) فى حدة ، وقال :

ـ ستدفع ثمن هذه الضربة غاليًا .

هوى الحارس الآخر على ظهره بضربة مماثلة ، قائلا فى غلظة :

ـ أضف هذه إلى الحساب إذن .

وصاح (آجور) :

ـ كفى .. إننى أكره هذه التفاهات .. إننـا لـن نقتل هذا الأسير الآن ، قبل أن نستجوبه ، وننتزع منـه كل المعلومات ، التى نرغب فى معرفتها ، عـن زملائـه فى المقاومة .

قال (هونور) ساخرًا .

ـ المعلومات ؟! .. أية معلومات يا رجل ؟! .. إنك لن تحصل منى على حرف واحد .. لن تجد الوقت لهذا ؛ فالزملاء سيقتحمون المكان بين لحظة وأخرى ، ويحررونني مع الخبير النفسى ، القادم من (سيتا ـ ٣) .

هزّ (آجور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ أخطأت أيها الأرغوراتى ، لو أن هذا هو أملك فى النجاة ، فقد أعددت كل شىء لمنعهم من استعادة خبيرهم النفسى هذا ، مهما كانت الظروف .

قال (هونور) بتهكم استفزازى :

ـ وماذا لو أنهم استعادوه بالفعل ؟

أجابه (آجور) متحديًا :

ـ لن يفعلوا حتى ولو اقتحموا القصر الإمبراطورى بالفعل ، فبضغطة واحدة على ذلك الزر الأحمر هناك ، ينسحق خبيرهم النفسى على الفور .

قالها وهو يشير إلى زر أحمر صغير ، فى نهاية مكتبه ، وأدهشه أن انتقل بصر (هونور) و (ترات) إلى الزر فى لهفة ، ثم لم تلبث دهشته هذه أن استحالت إلى ذهول ، عندما قال (ترات) فى ارتياح عجيب :

ـ حمدًا لله .. هذا ما أردنا معرفته .

ولم يستغرق ذهوله هذا سوى لحظة واحدة ..

ولكنها كانت أضخم لحظة فى حياته كلها ..

لقد نطق (ترات) عبارته ، وقبل أن يتمّها ، كان (هونور) قد دار على عقبيه فى سرعة البرق ، وحطّم فك الحارس الذى يقف خلفه مباشرة بلكمة ساحقة ، وهو يهتف :

ـ أرأيت أنك ستدفع الثمن ؟

تحرك الحارس الثانى فى سرعة ، محاولاً إطلاق سلاحه ، ولكن (ترات) قبض على معصمه ، ولكمه فى معدته بكل قوته ، قائلاً :

ـ مهلاً يا رجل .. لا يمكننى السماح لك بفعلها .

ثم وثب بركل الحارس فى أنفه مباشرة ، ويطيح به فى عنف ، مستطردًا :

ـ فهذا الأسير صديقى .

انتزع (آجور) نفسه من ذهوله ، مع العبارة الأخيرة ، وصاح وهو يندفع نحو الزر الأحمر ، فى نهاية مكتبه :

ـ خيانة .. اقتلوا الأسير .

لم تكن المسافة ، التى تفصله عن الزر الأحمر ،

تزيد على متر ونصف المتر ، ولقد قطعها بوثبة واحدة ، وكادت سبابته تعتصر الزر بالفعل ، لولا أن قفز (ترات) قفزة مدهشة ، بدت كصورة نموذجية للخفة والمرونة ، وأمسك معصمه فى قوة ، ليمنع يده من الاندفاع نحو الزر ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لا أيها الجلوريالى .. لن تفعلها وأنا على قيد الحياة .

استدار إليه (أجور) فى ذهول ، فقد نطق العبارة بصوت (ترات) ، ولكن بلغة عربية ، ولهجة مصرية خالصة ، يعرفها القائد الجلوريالى من التسجيلات ، التى عادت بها حملة غزو الأرض الفاشلة ..

وفى اللحظة التالية ، كان (ترات) ينزع عن وجهه قناعا مطاطيا شديد الإتقان ، ليظهر من خلفه وجه بشرى حازم قوى ..

وجه المنقذ الأسطورى ..

وجه (نور) .

* * *

٥ ـ خطوات عصبية ..

فركت (سلوى) كفيها فى عصبية ، وتطلعت فى توتر إلى شاشة الرصد الكبيرة ، داخل المقر السرى الجديد للمقاومة ، وهى تقول :

ـ ترى ماذا حدث ؟ .. كل شىء يبدو هادئا من الخارج ، بعد دخول (نور) و (هونور) إلى القصر .

قال (محمود) ، وهو يتشاغل بمعاونة (مشيرة) ، فى تركيب أجهزة البث الحديثة :

ـ إنهم يحتاجون إلى بعض الوقت لتنفيذ الخطة ، هذا لو ..

بتر عبارته ، وابتلع بقيتها مع توتره ، ولكن (نشوى) اندفعت تقول :

ـ لو أنهم محظوظون .

غمغمت (سلوى) :

ـ إننى أفضل هذه التكملة ، فهى تحمل شيئا من التفاؤل .

توقفت (مشيرة) عن العمل فى أجهزة البث ، ورفعت رأسها إليهم ، متسائلة :

ـ هل تتوقعون أن ينجح (نور) ؟

أجابها (محمود) على الفور ؟

ـ هذا فى علم الله (سبحانه وتعالى) .

هزّت رأسها ، قائلة :

ـ لست أقصد نجاحه فى المهمة ككل ، وإنما أقصد نجاحه فى إيهامهم بأنه (ترات) .

التقطت (سلوى) نفسًا عميقًا ، فى محاولة لتهدئة انفعالها ، قبل أن تقول :

ـ لو أردت رأيًا علميًا ، فالمفروض أن ينجح فى هذا ، فالزى التنكرى الذى يرتديه مصنوع بدقة مدهشة ، بوساطة الآلات التى تركها (بودان) ، وهو يماثل جسد (ترات) من الناحية التشريحية الخارجية ، ومزوّد بآلات دقيقة ، تجعل قياساته كلها تتشابه مع قياسات (ترات) ، فى حالة الفحص بالأجهزة الحديثة ، وحتى القناع يماثل وجه (ترات) تمامًا ، ولقد طبعنا بصمة فزحية على العدسة اللاصقة ، التى تخفى عين (نور) ، بوساطة طابعات الليزر البالغة الدقة .

سألتها (مشيرة) :

ـ وماذا عن الصوت ؟

هزّت (سلوى) كتفيها ، وقالت :

ـ لم يكن هذا عسيرًا بالنسبة لى ، كخبيرة صوتيات محترفة ، فقد زوّدت القناع بمغيّر نبذبة خاص ، سيحوّل نبرات صوت (نور) إلى نبرات مماثلة تمامًا لصوت (ترات) ، طبقًا للشرائط الصوتية ، المسجّلة لدينا لهذا الأخير .

ثم التقطت نفسًا عميقًا آخر ، قبل أن تضيف فى حسم :

ـ باختصار .. لو أنهم أجروا كل فحوصهم التقليدية على (نور) ، وهو يدخل إلى القصر ، لأتت النتائج كلها إيجابية ، ومطابقة تمامًا للمخزّن لديهم عن (ترات) .

أومأت (مشيرة) برأسها متفهّمة ، وغمغمت :

ـ هذا أفضل استغلال للخائن .

ثم ارتجف صوتها ، وهى تستطرد :

ـ ولكن هذا لا يعنى أن مهمة (نور) سهلة أو بسيطة ، فبعد نجاحه فى دخول القصر الإمبراطورى ، سيكون كمن اقتحم عرين الأسد ، على أمل تقليم مخالبه ، وانتزاع أنيابه .

قال (محمود) :

ـ لن يكون وحده هناك ، فمعه (هونـور) ، وهنـاك جيش كامل من رجال المقاومة يحيط بالقصر ، ويختفى حوله ، فى انتظار إشارة واحدة من (نور) ، لينقضّ على المكان فى لحظة .

بدت (نشوى) أكثرهم توترا ، وهى تقول :

ـ هذا لو نجح أبى فى تدمير عيون الحراسة .

وترقرقت فى عينيها دمعة عصبية ، قبل أن تستطرد :

ـ وأنتم تعلمـون جميعـا أن السبيل الوحيـد لبلـوغ الزر ، الذى يطلق إشارة التدمير الذاتية ، هو الوصـول إلى أكـثر المنـاطق خطورة ، فـى القصـر الإمـبراطورى كله ..

وارتجف صوتها فى شدة ، مع إضافتها :

ـ إلى العرش .. عرش امبراطور (جلوريال) .

قالتها ، فران على المكان صمت عميق ..

ورهيب ..

* * *

لم يكن من السهل أبدا أن ينتزع (آجور) نفسه من ذهوله ، وهو يحدق فى وجه (نور) ، داخل حجرتـه الخاصة ، فى القصر الإمبراطورى ..

إنه لم يكن يتوقّع مثل هذه المفاجأة قط ..

ولا يمكنه أن يتوقّعها ..

لقد افترض أن رجـال المقاومـة سيشـنون هجومًـا مسلّحًا على القصر الإمبراطورى ، فى محاولـة لإنقاذ (رمزى) ، وأنه سينجح فى صد هجومهم ، ومباغتتهم بحصار قوى ، يوقع بعض قـادتهم فـى قبضتـه ، ومـع المعلومات التى ينتزعها منهم ، يمكنه الوصول إلى مقر (نور) ..

افترض الكثير والكثـير مـن الأشـياء ، وحـاول أن يستنتج الضربات غير المتوقّعة ، التـى يمكن أن يقوم بها (نور) ، ولكنـه لم يتصوّر أبدًا أن تبلـغ شجاعة ذلك المنقذ الأسطورى هذا الحد الخرافى ، فيهاجمـه بنفسه داخل القصر ، بفريق يمثل هو نصفه ..

ومع ابتسامة (نور) الساخرة ، استحال كل ذهول (آجور) إلـى فيض مـن الغضـب ، جعلـه يقـول فـى عصبية شديدة :

ـ هل تتصوّر أن هذا سينجح ؟

هزّ (نور) كتفيه ، وهو يقول :

ـ لقد نجح بالفعل .. إننا نعلم أين نجد (رمـزى) ، وكيف نشق طريقنـا إليه ، ولكننـا كنا نجهل أين تحتفظ

بالزر الخاص ، الذى يمكنه سحق (رمزى) ، قبل أن نصل إليه .

قال (آجور) فى غضب :

ـ وهل تعتقد أنك تستطيع الوصول إليه ؟.. أحمق أنت ، لو تصوّرت هذا ؛ فالطريق من هنا إلى القبو يمر عبر خمسة أبواب رئيسية ، يقوم جنديان مسلحان بحراسة كل منها ، وهم ضمن جنود الفرقة الخاصة ، الذين تلقّوا تدريبات مكثفة ، تجعل الواحد منهم يعادل فرقة كاملة .

أمسك (هونور) ذراعه فى قسوة ، وهو يقول :

ـ وهل تعلم كم يساوى الواحد منا ؟

قال (آجور) فى غضب :

ـ ستختبر هذا بنفسك ، عندما تواجه رجالى .

أزاح (نور) يد (هونور) عن ذراع (آجور) ، وهو يقول :

ـ رجالك لا يمثلون مشكلة يا قائد الفرسان !

قال (آجور) فى سخرية غاضبة :

ـ هذا ما تظنه أيها المنقذ .. رجال الفرقة الخاصة أشبه بالوحوش ، وسيمزقونك إربًا ، لو أنك فقط حاولت أن ..

قاطعه (نور) فى هدوء :

ـ هذا لو أننى ذهبت وحدى .

حدّق (آجور) فى وجهه ، وقال فى توتر :

ـ ماذا تعنى ؟

انتزع (نور) من جيبه محقنًا صغيرًا ، وهو يقول :

ـ أعنى أن الخطة لم تنته بعد .

اتسعت عينا (آجور) فى ذعر ، وخيّل إليه أنه قد فهم خطة (نور) ، فتراجع هاتفًا :

ـ اللعنة !

ثم اندفع بغتة إلى الأمام ، ووثب محاولا ضغط الزر الأحمر ، وهو يهتف غاضبًا :

ـ لن تجد الوقت لتفعل هذا .

ولكن (نور) أوقفه بلكمة قوية ، انتزعته من مكانه ، وقذفته مترين إلى الخلف ، وعندما حاول النهوض لتكرار المحاولة ، فوجئ بـ (نور) أمامه ، يقول فى هدوء :

ـ لا تكابر يا هذا .. لقد خسرت .

ثم غرس المحقن الصغير فى ذراعه ، وحقنه بكل ما يحويه ..

وهتف (آجور) فى غضب :

ـ لا تكابر يا هذا .. لقد خسرت .

ثم غرس المحقن الصغير فى ذراعه ، وحقنه بكل ما يحويه ..

ـ اللعنة !.. اللعنة !.. إنه الـ (س ـ و ـ د ـ ٣) .. أليس كذلك ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابا ، وهو يقول :

ـ نعم .. نفس العقار ، الذى تستخدمونه مع أسراكم .. وأنت تعلم نتائجه جيدا .. ستفقد إرادتك تماما ، وتطيع كل ما تأمرك به .

حاول (آجور) أن يسيطر على ذلك الضباب ، الذى يسبح فى عقله ، ويسيطر على إرادته ، وهو يقول فى حنق :

ـ إننى أفضل الموت .

هز (نور) كتفيه ، وابتسم وهو يقول :

ـ ليس كل ما يتمناه المرء يدركه .

وقبل أن يتم عبارته ، كان قائد فرسان (جلوريال) قد فقد إرادته تماما ، وصار عجينة طرية فى قبضته ، يمكنه تشكيلها كما يشاء .

وفى شك عصبى ، قال (هونور) :

ـ هل تعتقد أن هذا سينجح ؟

غمغم (نور) ، وهو يعيد قناع (ترات) إلى وجهه :

ـ أتعشم هذا ..

ثم واجه (آجور) ، قائلا :

ـ أنت تسمعنى جيدا الآن ، وستنفذ كل ما آمرك بـه .. أليس كذلك !

أجابه (آجور) فى اقتضاب ، وفى آلية تامة :

ـ بلى .

مطّ (هونور) شفتيه ، وهو يزمجر قائلا :

ـ يلوح لى أنه يخدعنا .

قال (نور) فى هدوء :

ـ اطمئن .. نتائج عقار (س . و ـ ٣٠٠) مباشرة وسريعة ، كما تقول تقارير جواسيسكم .

قال (هونور) فى حدة :

ـ لست أثق بتقارير الجواسيس .

هزّ (نور) كتفيه ثانية ، وقال :

ـ ليس أمامنا سواها .

ثم التفت إلى (آجور) ، مستطردا بلهجة آمرة :

ـ هيا أيها الجنوريالى .. قدنا إلى زميلنا .

قال (آجور) بلهجته الآلية :

ـ سمعا وطاعة .

وتحرك نحو الباب فى خطوات منتظمة ، فى حين قال (نور) لـ (هونور) :

ـ هيّا .. سنتبعه وكأننى (اكس ـ ١) ، وأنت أسيرى ، كما دخلنا إلى هنا .

مطّ (هونور) شفتيه ، وقال :

ـ هل يمكننى حمل سلاح أحد الحارسين ؟

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا ، فالأسرى لا يحملون أية أسلحة .. لا تنس هذا .

غادر (آجور) المكان وهما خلفه ، يقطعان ممرات القصر الإمبراطورى فى بطء وحذر ، حتى وصلا إلى أحد الأبواب الخمسة ، التى أشار إليها (آجور) ، فاعتدل حارسا الباب فى حركة عسكرية ، ورفعا ذراعيهما هاتفين .

ـ المجد لـ (جلوريال) .

أشار (آجور) بيده ، قائلا :

ـ افتحا الباب .

فتح الرجلان الباب على الفور ، فعبره (آجور) مرفوع الرأس ، واستعد (نور) و (هونور) للعبور خلفه ، إلا أنه استدار بغتة ، وصاح فى الحارسين :

ـ ألقيا القبض عليهما .. إنهما جاسوسان .

تسمّر (نور) فى مكانه ، وصاح (هونور) غاضبًا :

ـ كنت أعلم هذا .. كنت أعلم أنه يخدعنا .

والحقيقة أنها لم تكن مجرّد خدعة ..

لقد كانت مفاجأة ..
مفاجأة مذهلة ..

* * *

تململ (أكرم) فى توتر شديد ، وهو يلقى نظرة على ساعته ، قائلاً لـ (ديجنتى) :

ـ الوقت يمضى فى بطء شديد .. متى تنطلق إشارة البدء ؟

قال (ديجنتى) فى ضيق :

ـ عليك أن تتحلى بالصبر يا رجل (سيتا ـ ٣) ، وإلا خسرت كل شىء ، فالحماس وحده لا يكفى لتربح معاركك .

قال (أكرم) فى سخرية عصبية :

ـ بالطبع ، لذا فأنا أحمل هذا دائمًا .

قالها وهو يرفع مسدسه الآلى أمام وجهه ، فمط (ديجنتى) شفتيه ، وقال :

ـ لست أفهم طبيعة أسلحتكم هذه ، ولكنها تبدو لى بدائية للغاية ، حتى أننى أتساءل : كيف ربحتم معركتكم مع (جلوريال) ؟!

أشار (أكرم) إلى رأسه ، وقال :

ـ لأننا استطعنا استخدام هذا .. هل تعرفه ؟! .. اسمه العقل .

رمقه (ديجنتى) بنظرة باردة ، ثم أشاح بوجهه ، قائلاً :

ـ أتمنى رؤيتك تستخدمه .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول فى غضب :

ـ ما الذى تقصده يا هذا ؟

أجابه (ديجنتى) فى حزم :

ـ لا شىء .. لا شىء يا رجل (سيتا ـ ٣) .. إننى فقط أحاول أن أبلغك أننا نعمل معًا ، ضد العدو نفسه ، وأننا لم نجبرك على الحضور إلى كوكبنا ، وإنما أتيت بمحض إرادتك ، فإما أن نقاتل معنا ، أو تنسحب فى صمت ، ولا يوجد أى مبرر لنقاتل ضدنا ، بهذه الروح العصبية العنيفة ، حتى ولو كنت تجلس فعليًا بين صفوفنا ..

تطلع إليه (أكرم) فى حدة ، وبدا لحظة وكأنه سينفجر فى وجهه ، إلا أنه لم يلبث أن قال فى توتر :

ـ أنت على حق .. ربما كنت عصبيًا أكثر مما ينبغى ، ولكننى أشعر بقلق شديد على (نور) ، وهو داخل القصر الإمبراطورى وحده .

قال (ديجنتى) :

ـ ليس وحده .. معه (هونور) .

لوّح (أكرم) بذراعه ، وقال :

ـ فليكن .. إنهما رجلان فحسب ، ضد كل طاقم حراسة القصر ، وهو يزيد على مائتى رجل ـ كما ورد فى تقاريركم ـ فى نفس الوقت الذى نجلس فيه نحن ، على بعد مائة متر من القصر ، نتطلّع إلى عيون الحراسة فى صمت ، دون أن نفعل شيئا .

قال (ديجنتى) فى ضيق :

ـ المفروض أن ننتظر إشارة المنقذ ، فإما أن ننقض على القصر ، بعد نسف عيون الحراسة ، أو ننسحب لفشل الخطة .

هتف (أكرم) :

ـ ونترك (نور) و (رمزى) ؟! .. لا يا رجل .. لن أنسحب من هنا بدونهما قط .. إننى أفضل الموت معهما .

قال (ديجنتى) فى حدة :

ـ لن يكون هذا عسيرا ، فما إن تخطو خطوة واحدة ، بعيدا عن هذه الأطلال ، التى نختبئ فيها ، حتى تنقضّ عليك عيون الحراسة ، وتسحقك سحقا .

قال (أكرم) فى غضب :

ـ باللسخافة !.. لو أن الأمر بيدى ، لأطلقت النار على كل عين من عيون الحراسة هذه ، ولـ ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وقد قفزت إلى ذهنه فكرة مدهشة ..

مدهشة بحق ..

* * *

كانت المفاجأة مذهلة بحق داخل القصر ، عندما استعاد (آجور) سيطرته على نفسه فى تلك اللحظة ، وأمر حارسيه بإلقاء القبض على (نور) و (هونور) ..

ولقد أطاعه الحارسان على الفور ، وارتفع سلاحاهما فى وجهى بطلينا ، فى حين أطلق (آجور) ضحكة ساخرة شامتة عالية ، وهو يقول :

ـ لم أتصوّر أبدا أن الأمر سيكون بهذه السهولة .. لقد سقط المنقذ الأسطورى فى قبضتى كأى غرّ ساذج .

صاح (هونور) فى (نور) غاضبا :

ـ إنه على حق .. كان ينبغى أن تدرك أنه يخدعنا .

هزّ (نور) رأسه فى حزم ، وهو يقول :

ـ كلا .. لم يكن يخدعنا .

هتف (هونور) :

ـ ماذا تقول ؟.. ألا تراه يسخر منا أمامك ؟

رفع (آجور) سبّابته ، وهو يقول :

ـ أخطأت أيها الأرغوراتى .. المنقذ القادم من (سيتا ـ ٣) على حق .. لم أكن أخدعكما بالفعل فى البداية ، فلقد سيطر عقار (س . و ـ ٣٠٠) على إرادتى بالفعل ، وكان المفروض أن يمتد تأثيره لفترة طويلة ، لولا أننى أتناول باستمرار العقار المضاد لتأثيره ، والذى يقصر فاعليته على دقائق معدودة ، يزول بعدها أثره تماما .

بدا (نور) متماسكا ، وهو يقول :

ـ أعترف بأننى لم أكن أتوقع هذا .

قهقه (آجور) مرة أخرى شامتا وساخرا ، ثم قال :

ـ هذا لأن ذكاءك لن يبلغ قط مقدار عبقريتى الحربية أيها المنقذ .. أنا مقاتل منذ طفولتى ، وأقود فرسان (جلوريال) منذ سنوات ، كما أننى تلقيت تدريباتى كلها على يد أعظم قادتنا ، الفارس (كوماد) .. الذى لقى مصرعه على كوكبكم (*) .

وأطل من عينيه مقت رهيب ، وهو يستطرد :

ـ ولقد منحنى القدر فرصة الانتقام له .

أدهشه أن قال (نور) فى هدوء عجيب :

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم ٨٠ .

ـ ستأمر رجالك بقتلى إذن .

هز (آجور) رأسه نفيا ، وقال :

ـ ليس بهذه السهولة .. إننى أعد لك برنامجا أفضل ؛ فلابد أن يدرك شعب (أرغوران) أولا أن منقذه الأسطورى لم يعد يساوى شيئا ، ثم يراك تلقى مصرعك على أيدينا .

ثم ضغط زر جهاز اتصال خاص فى الجدار ، وهو يستطرد :

ـ ولكن ذكر القتل لن يمضى دون أن نحتفى به .. ستشاهد عملية قتل مباشرة ، ونظيفة .

ومال نحو جهاز الاتصال ، قائلا :

ـ هنا القائد (آجور) .. كلمة السر (رائحة المجد) .. اقتلوا أسير القبو الآن .. وأنهى الاتصال ، وهو يتطلع إلى وجه (نور) المحتقن ، ثم أطلق ضحكة أخرى ..

ضحكة تموج بالشماتة ..

وبالظفر .

* * *

٦ ـ الهجوم ..

برقت عينا الضابط الجلوريالى فى ظفر ، وهو يراجع أجهزة إطلاق الصواريخ ، فى القاعدة الفضائية ، قبل أن يقول :

ـ عظيم .. كل شىء هنا على ما يرام ، ولكن كم تبلغ نسبة الخطأ ، فى إصابة هدف فضائى ؟

أجابه قائد الدفاع الفضائى :

ـ فى الظروف العادية ، تبلغ نسبة الخطأ خمسة فى المائة تقريبًا ، ولكن دراسات الكمبيوتر التى أحضرتها ، تخفض نسبة الخطأ إلى ثلاثة فى المائة فحسب .

سأله الضابط فى لهفة :

ـ أيعنى هذا أننا نستطيع إصابة (أرغوريا) من هنا ؟

أومأ قائد الدفاع الفضائى برأسه ، وقال :

ـ يمكننى أن أضمن هذا ، لو أننا أطلقنا خمس قذائف نووية دفعة واحدة ، فبهذا تنخفض نسبة الخطأ إلى صفر فى المائة .

هتف الضابط فى حماس :

ـ عظيم .. عظيم .. دعنا نبدأ إذن يا رجل .

تردد قائد الدفاع الفضائى بضع لحظات ، ثم قال :

ـ مهلاً أيها الضابط .. إنك تطالبنى باستخدام القذائف النووية ، ضد هدف فضائى مجهول ، يتم رصده وتحديد موقعه لنصف الثانية فحسب ، وهذا يحتاج إلى أمر مباشر ، وتصريح رسمى مضمون .

قال الضابط فى حدّة :

ـ أنا أمنحك هذا التصريح .

تردّد الجلوريالى مرة أخرى ، ثم قال :

ـ أفضّل الحصول على تصريح من الإمبراطور .. أو حتى من قائد الفرسان .

بدا الغضب على وجه الضابط ، وهو يقول :

ـ ولكننى أملك سلطة منحك هذا التصريح يا رجل .. بل أنا المسئول الأوّل عن رصد ومقاومة أى خطر فضائى ، وأنت تعلم هذا .

لوّح قائد الدفاع الفضائى بذراعه ، وهو يقول :

ـ نعم .. أعلم هذا ، ولكننى أتساءل : لماذا ترفض الحصول على تصريح من قائد الفرسان ؟

صاح الضابط فى وجهه :

ـ ومن تظنه يعترض على تدمير السفينة الإمبراطورية الأرغورانية ، التى تسبح كوحش خفىّ فى مجالنا الفضائى ؟

ثم أطلّ فى عينيه بنظرة مخيفة ، مستطردًا :

ـ أم أنك تميل إلى الأرغورانيين ؟!

تراجع الرجل هاتفًا .

ـ أنا ؟

تقدّم الضابط نحوه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ نعم .. كيف لم أنتبه إلى هذا من قبل ؟! أى جلوريالى مخلص فى موقعك ، لم يكن ليتردّد فى تدمير (أرغوريا) ، حتى يحرم الأرغورانيين من أحد مصادر قوتهم ، بل من أضخم هذه المصادر .

هتف الرجل :

ـ ومن قال إننى أرفض هذا ؟

ثم انقضّ على جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يهتف برجاله :

ـ استعدوا بخمس قذائف فضائية .. سننسف هدفًا أرغورانيًا .

والتفت إلى الضابط ، محاولاً الابتسام فى توتر ، وهو يستطرد :

ـ أرأيت أيها الضابط .. أنا جلوريالى مخلص .

اعتدل الضابط ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ماكرة ، وهو يقول :

ـ بالطبع يا رجل .. بالطبع .. كلنا نحمل كل الإخلاص لوطننا (جلوريال) .

قالها وهو يسرح بأفكاره بعيدًا ، ويحلم بالمكافأة الضخمة ، التى سيحصل عليها من الإمبراطور ، عندما ينجح فى تدمير السلاح الأرغورانى الأخير .. (أرغوريا) ..

* * *

لم يشعر (نور) فى حياته كلها بمثل هذا الغضب ، الذى ملأ كيانه كله ، عندما أصدر (آجور) أمره بقتل (رمزى) ، فانتزع قناع (تراث) عن وجهه ، وألقاه أرضًا ، وهو يقول :

ـ هل تعلم يا قائد فرسان (جلوريال) ؟.. أنا لم أر فى حياتى كلها من هو أكثر حقارة منك .

رمقه (آجور) بنظرة ساخرة ، وقال :

ـ غضبك يبدو واضحًا فى لهجتك أيها المنقذ الأسطورى ، ولكن ما الذى يمكنك أن تفعله ؟

قال (نور) فى صرامة .

ـ أن أجعلك تدفع ثمن حقارتك غاليًا .

ضحك (آجور) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ ماذا أصابك أيها العبقرى المنقذ ؟.. يبدو أنك

نسيت تمامًا وضعك الآن ، أو تعاميت عنه بكل حماقة .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى تهكم :

ــ هيـا .. افتـح عينيك أيها المنقذ الأسـطورى ، وسترى أنك الآن أسير فى قبضتنا ، وأنك لن تغادر هذا القصر حيًا أبدًا .

قال (نور) فى حزم :

ــ كلنا لن نفعـل يا قائد الفرسـان ، بل ولن يكون هناك وجود للقصر الإمبراطورى ، بكل ما فيه ومن فيـه ، عندما تنطلق نحوى طلقة واحدة .

بدا التساؤل على وجه (هونور) ، فى حين تراجع (آجور) فى قلق ، وقال :

ــ ماالذى يعنيه هذا بالضبط ؟ .. أهى خدعة أخرى ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

ــ بل هى خطة احتياطية أيها الجلوريالى ، المفروض أن يتم تنفيذها فى حالة الخطر ، وكل المطلوب منى هو أن أفعل هذا .

وضغط زرًا فى حزامه ، ثم استطرد :

ــ والآن الزى الأرغورانى التذكرى ، الـذى أرتديـه ، عبـارة عن قنبلـة نوويـة كبيرة ، تحتـاج فقـط لطلقـة إشعاعية واحدة كفتيل تفجير ، ثم تحيل القصر كله ، فى لحظات ، إلى كومة من الرماد ، دون أدنى أثر للحياة .

ظهر الذعر على وجهى الحارسين ، فى حين هتف (آجور) فى توتر بالغ :

ــ لا .. إنها خدعة .. أكاد أقسم إنها كذلك .

تقدَّم (نور) نحوه ، وهو يقول :

ــ هل ترغب فى إجراء تجربـة اختباريـة ؟.. هيـا .. دع حارسيك يطلقان أشعتهما نحوى ، وسينتهى الأمر كله ، قبل أن تدرك حتى ما حدث .

ومع تحركه ، حجب (نور) بجسده (هونـور) عن الحارسين ، ولكنه لم يكد ينحرف جانبًا ، حتى برز هذا الأخير من خلفه ، وهو ينقضّ على الحارسين ، هاتفًا :

ــ أحسنت اللعبة أيها المنقذ .

وفى اللحظة نفسها ، تحرك (نور) أيضًـا ، وأمسك معصم أحد الحارسين ، ليُبعد سلاحه عنه ، ثم وثب بركله فى فكه ، هاتفًا :

ــ يسعدنى أن فهمتها يا صديقى .

كان الحارسان قويان بالفعل ، ولكن ذلك المزيـج من التوتر والمفاجأة زلزل كيانهما ، فسقط أحدهما أرضًا ، إثر ركلة (نور) ، فى حين هوى (هونور) بقبضته على فك الثانى ، بكل ما يملك من قوة ، هاتفًا :

ــ اسمح لى باستعارة سلاحك أيها الوغد .

احتمل الرجل اللكمة ، وأبعد سلاحه فى مهارة ، ولكن (هونور) قفز يتشبث بالسلاح ، وهو يقول :

ـ لا أيها الوغد .. أنا أصرّ .

وفى نفس اللحظة ، كان الحارس الثانى قد هبّ واقفًا ، وصوّب سلاحه إلى (نور) ، صارخًا :

ـ للأسف أيها المنقذ الأسطورى .. لقد اخترت الموت العاجل .

صاح (آجور) :

ـ اقتله يا رجل .. اقتله بلا تردد .

ولكن (نور) قفز جانبًا ، وتفادى طلقة الأشعة الموجّهة إليه ، ثم انقضّ على الحارس ، هاتفًا :

ـ فشلت محاولتك يا هذا ، وحان دورى .

كان (آجور) يثق كثيرًا بقوة رجال الفرقة الخاصة ، ولكن متابعته للقتال الشرس ، الذى يدور بين رجلين و (نور) و (هونور) ، زعزعت الكثير من ثقته هذه ، فتراجع فى توتر بالغ ، حتى رأى (هونور) يسيطر على خصمه ، وينتزع منه سلاحه ، ثم يهوى به على فكه ، قائلاً :

ـ خسرت يا رجل .

وتحرك نحو (نور) ، الذى أسقط خصمه بالفعل ،

فتراجع (آجور) أكثر وأكثر ، ثم انطلق يعدو مبتعدًا ، وهو يصرخ :

ـ منقذ (سيتا ـ ٣) داخل القصر .. استنفار عام .. أريده حيًا أو ميتًا .

حاول (هونور) أن يندفع نحوه ، وهو يلتقط سلاح أحد الحارسين ، هاتفًا :

ـ أيها الوغد الحقير .

التقط (نور) سلاح الحارس الثانى ، ولحق به بسرعة ، قائلاً :

ـ لا تقتله .. لست أحب إراقة الدماء :

ومع آخر حروف كلماته ، وثب (آجور) عبر باب مفتوح ، وأغلقه خلفه فى إحكام ، ولم يكد يفعل ، حتى انفتح باب آخر ، فى مواجهة (نور) و (هونور) ، وبرز عبره ستة من رجال الفرقة الخاصة ، فصاح (هونور) :

ـ سبق السيف العذل أيها المنقذ .. سنريق دماءهم ، أو تراق دماؤنا .

وأطلق أشعة سلاحه ، فى نفس الوقت الذى أطلق فيه الحراس أشعة أسلحتهم ، فجذبه (نور) جانبًا ، لينقذه من أشعتهم القاتلة ، ثم دفعه ليستترا خلف حاجز جانبى وهو يقول فى حزم :

فتراجع (آجور) أكثر وأكثر ، ثم انطلق يعدو مبتعدًا ، وهو يصرخ :

ـ منقذ (سينا ـ ٣) داخل القصر ..

ـ يبدو أننى مضطر لموافقتك هذه المرة ، فالموقف يحتم علينا القتال حتى آخر رمق .

سأله (هونور) ، وهما يتبادلان إطلاق النار ، مع رجال الفرقة الخاصة :

ـ ولكن ماذا عن ذلك الزر ، الذى ضغطته فى حزامك ؟.. أنا أعلم أن قصة القنبلة النووية فى الزى غير حقيقية ، ولكن الزر كان حقيقيًا .. أليس كذلك ؟

أجابه (نور) فى اقتضاب :

ـ بلى .

سأله (هونور) ، وأشعة سلاحه تصيب أحد رجال الفرقة الخاصة :

ـ وما طبيعة الإشارة التى أطلقها ؟

صمت (نور) بضع لحظات ، وهو يطلق أشعة سلاحه على الجلوريالبين ، ثم أجاب فى حزم ، لا يخلو من رنة أسى :

ـ إشارة الانسحاب .

وعاد يقاتل بلا إضافة ..

وبلا أمل .

* * *

جاء وقع إشارة الانسحاب كالصاعقة على (ديجنتى) و (أكرم) ، وامتقع وجه الأخير فى شدة ، وهو يقول :

ـ الانسحاب ؟! .. مستحيل !

كاد (ديجنتى) ينتزع أصابعه من كفه ، وهو يقول فى مرارة :

ـ هذا ما كنت أخشاه .. لقد ضحى المنقذ الأسطورى بحياته دون طائل .

أمسكه (أكرم) من كتفيه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ إنه لم يفقد حياته بعد .. لقد أطلق إشارة الانسحاب ، وهذا يعنى أنه ما يزال على قيد الحياة .

قال (ديجنتى) فى أسى :

ـ وبمَ يفيد هذا .. إنه وحده مع (هونور) فى الداخل ، ونحن هنا فى الخارج ، تفصلنا عنهما جدران القصر ، ومئات من عيون الحراسة .

هزه (أكرم) فى قوة ، وهو يهتف :

ـ لا تجعل عيون الحراسة هذه تخيفكم .. لقد ارتجفتم منها طيلة عمركم ، دون أن تفكروا فى أن القضاء عليها ليس مستحيلاً .

قال (ديجنتى) فى حدة :

ـ وما الذى تتوقع أن نفعله ، فى مواجهة ما يقرب من ألف عين حارسة ؟

أجابه (أكرم) فى حدة أكبر :

ـ أن نطلق النار عليها ، وننسفها قبل أن تنسفنا .

حدق (ديجنتى) فى وجهه ، قائلاً فى دهشة :

ـ ننسفها ؟! يبدو أنك لا تفهم ما نواجهه بالضبط .

صاح به (أكرم) :

ـ بل أنتم الذين تجهلون قوتكم الحقيقية .

ثم لوّح بكفيه فى توتر بالغ ، وهو يتابع :

ـ لقد فكرت فى الأمر جيدًا ، ووجدت أن الحل بسيط ، إلى درجة أدهشنى معها كيف أن أحدًا لم يفعلها من قبل .. إننا نواجه ألف عين من عيون الحراسة تقريبًا ، ولكننا نزيد على أربعمائة شخص ، ونحيط بالقصر الامبراطورى كله .. أنت وفرقتك وأنا من الشرق ، و (نوفسا) تقود فرقتها وفرقة (هونور) فى الغرب ، و (آرون) يقود فرقته من الشمال ويعاونه (كالوا) وفرقته ، و (ريستا) على رأس فرقتها وفرقة (ترات) فى الجنوب .. ولو اتفقنا كلنا على خطة واحدة ، وأطلقنا النار على كل عيون الحراسة فى نفس اللحظة ، يمكننا أن ننسف نصفها مع الضربة الأولى ، ثم نهاجم النصف الآخر ، مع هجوم مكثف ، ونظرًا لأننا نملك زمام المبادرة ، ونتميّز بعامل المفاجأة ، أراهن أننا سنبيد معظم النصف المتبقى .

استمع إليه (ديجنتى) فى اهتمام ، قبل أن يقول :

ـ ولكن سيكون علينا عندئذ أن نواجه طاقم حراسة القصر ، بالإضافة إلى كل ما تبقى من عيون الحراسة .

أجابه (أكرم) فى حماس :

ـ أعطنى عندئذ فرقة انتحارية ، من عشرة أشخاص فحسب ، وسنقتحم القصر من أضعف نقاطه ، ونحاول مهاجمتهم من الداخل .

قال (ديجنتى) :

ـ ولكنهم يستطيعون استدعاء المئات من عيون الحراسة ، خلال ربع الساعة فقط .

أجابه (أكرم) :

ـ سنكون عندئذ داخل القصر ، وسنطلق إشارة الإبادة الكاملة ، ونطيح بالعيون القاتلة كلها دفعة واحدة .

صمت (ديجنتى) لحظات مفكرا ، قبل أن يغمغم :

ـ إنها خطة مجنونة للغاية .

سأله (أكرم) فى لهفة :

ـ وهل يخيفك هذا ؟

أجابه (ديجنتى) فى سرعة :

ـ مطلقا .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة جذلة ، وهو يستطرد :

ـ إنه يروق لى كثيرا .

والتقط جهاز اتصال خاص ، وهو يقول فى حماس :

ـ استمعوا إلىّ يا رفاق .. لدينا خطة جديدة ، ستحتاج منكم إلى كل طاقتكم وحماسكم .

وفى نفس الوقت ، الذى كان يشرح فيه الخطة للآخرين ، كان الموقف شديد التوتر ، داخل المقر السرى للمقاومة ، وتحرك (بودان) فى عصبية شديدة ، وهو يقول :

ـ إشارة الانسحاب تعنى أن الخطة قد فشلت ، ووقع (نور) و (هونور) فى قبضة الجلوريالبين .. إنها كارثة .. سينهار شعب (أرغوران) كله ، إذا ما علم أن منقذه الأسطورى قد سقط ، فى أول مواجهه مع الجلوريالبين .

قالت (سلوى) فى حدة :

ـ وسنفقد (نور) .. كلا .. لا ينبغى أن نسمح بهذا .. لابد أن نفعل شيئا .

تحركت أصابع (نشوى) فى توتر ، على أزرار الكمبيوتر الملساء ، وهو تقول :

ـ إننى أحاول دراسة الموقف ، ولكننى لا أجد وسيلة منطقية للقتال .

هتف (محمود) :

ـ دعك من منطقية الكمبيوتر ، وادرسى الأمر بعقلك البشرى .. إننا لن نجلس هنا عاجزين ، ونترك (نور) فى قبضتهم .

سألته (مشيرة) :

ـ وما الذى تتوقع منا أن نفعله ، هل نحمل أسلحتنا ، ونشن هجومًا على القصر الإمبراطورى ؟

قال فى مرارة :

ـ لا يمكننى أن تتصورى كم أتمنى هذا ، ولكننى عاجز تمامًا ، ولا أملك سوى بث الرسائل للسفينة الإمبراطورية (أرغوريا) ، على أمل أن ..

بتر عبارته بغتة ، ووثب كالملسوع ، هاتفًا :

ـ (أرغوريا) !

تطلع إليه (بودان) فى توتر بالغ ، فى حين هبّت (نشوى) من مقعدها ، صائحة فى حماس :

ـ نعم يا (محمود) .. (أرغوريا) هى فرصتنا الوحيدة .

واندفعت (سلوى) نحو (محمود) ، قائلة فى حرارة :

ـ كيف لم يدر هذا بخلدنا من قبل ؟

سألتهم (مشيرة) فى حيرة :

ـ ماذا تقصدون ؟.. ما الذى يمكنكم فعله ؟

أجابها (بودان) فى حدة :

ـ أكبر عمل أحمق فى حياتهم يا سيّدتى .

التفتوا إليه جميعًا فى دهشة ، وقال (محمود) فى استنكار :

ـ عمل أحمق ؟!.. أمن الحماقة أن أحاول استغلال (أرغوريا) ، بكل قوتها وتسليحها ، فى محاولة لإنقاذ (نور) ؟

قال (بودان) :

ـ بل من الحماقة أن تجازف بكشف وجود (أرغوريا) وتحدّد لهم موقعها بالضبط ، لمجرّد أنك ترغب فى القيام بعمل سريع .

أشار (محمود) إلى شاشة الراصد ، وهو ينتفض غضبًا ، ويهتف :

ـ بل أجازف بهذا ، فى محاولة لإنقاذ (نور) ، المنقذ الأسطورى ، الذى تخفق له قلوب شعبكم كله ، والذى وقع فى قبضة المحتلين ، الذين سيحطمون قلوب هذا الشعب كله ، إذا ما أعدموه علنًا .. بل وربما ينتهى أمل الثورة إلى الأبد فى هذه القلوب .

بدا التوتر على وجه (بودان) وهو يقول :

ـ أنتم تفكرون بقلوبكم وعواطفكم ، وليس بعقولكم ، وهذا أخطر وأسوأ ما يمكن أن يفعله المقاتل ، فى زمن الحرب .. هل تتصورون أننى لا أشعر بالحزن والأسى والتوتر والمرارة ، لأن القائد الذى انتظرناه دهرًا ، قد سقط فى قبضة العدو ، عند أول مواجهة ؟! .. أتظنون أننى لا أدرك أو أقدّر فداحة الموقف وخطورته ؟.. هل نسيتم أننى صاحب المشكلة الحقيقى ، والمسئول الأول عن كل ما يصيب شعب (أرغوران) ؟.. أنا أفهم الموقف كله ، وأدرسه فى عقلى ، وأتساءل : هل نجازف بآخر وأخطر ورقة فى أيدينا ، دون أن ندرك نتائج التضحية بها ؟ أم نحافظ على سريتها ، حتى يمكننا استغلالها فى ضربة أخرى ؟! ..

همت (نشوى) بإجابته ، ولكنه استوقفها بإشارة من يده ، وهو يتابع :

ـ قلوبكم ستؤيد الاقتراح الأول بالطبع ، فقائدكم (نور) يمثل لكم ـ حتمًا ـ أهم شىء فى الوجود ، فبينكم زوجته ، وابنته ، وأخلص أصدقائه ، وأشد المعجبات به ، أما أنا فأنظر للأمر من زاوية أخرى ، أكثر أهمية وخطورة ، وأجد أن الموقف كله لم ينحسم

بعد .. صحيح أن (نور) و (هونور) فى قبضة الجلوروياليين ، ولكن هذا لا يبرّر تدخل (أرغوريا) فكل ما يمكنها أن تفعله ، هو أن تقصف القصر الإمبراطورى مرة أو مرتين ، وبعدها سيصبح رصدها هينا وسيتم تدميرها على الفور .. بل وربّما يتسبّب قصفها فى قتل (نور) نفسه ، بدلاً من إنقاذه .. المفروض إذن أن ندخر أسلحة (أرغوريا) للهجوم الشامل ، عندما يهبّ الشعب كله للقتال ، و ...

قاطعته (نشوى) وهى تقول بصوت يموج بالانفعال :

ـ ماذا تسمى هذا إذن ؟

استدار بسرعة مع الباقين ، إلى شاشة الراصد ، التى تشير إليها (نشوى) ، واتسعت عيونهم فى دهشة بالغة ..

لقد رأوا أن جيش المقاومة ، المكون من أكثر من أربعمائة وخمسين مقاتلاً ، قد تجاوز الخطة الموضوعة ، وهبّ كله للقتال ..

وكان هذا يعنى الكثير ..

والكثير جدًا .

* * *

٧ ـ الضربة ..

« الآن يا رجال .. » .

لم يكد (ديجنتى) يطلق تلك الصيحة ،حتى أطلق أربعمائة وخمسون مقاتلاً أسلحتهم دفعة واحدة ، نحو عيون الحراسة ..

وكان الانفجار مروّعًا ..

أكثر من أربعمائة ، من عيون الحراسة ، انفجرت كلها فى آن واحد ، وبدوى يصمّ الآذان ، كاد يزلزل القصر الإمبراطورى من أساسه ، حتى أن الإمبراطور (سيليا) تشبث بعرشه ، هاتفًا :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابه الحكيم (أوراكس) مرتجفًا :

ـ أخشى أنه هجوم يا مولاى .

قال الامبراطور مستنكرًا :

ـ هجوم على القصر الإمبراطورى ؟! .. هل أصيب الأرغورانيون بالجنون ؟!. أين ذهبت عيون الحراسة ؟.. وأين (آجور) ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى دوى انفجار آخر ، يماثل الأوّل تقريبًا ، وأسرع (أوراكس) يضغط زر الرصد ، ويقرأ البيانات المدوّنة أمامه ، قبل أن يهتف منزعجًا :

ـ يبدو أنه ليس بالأمر الهين يا مولاى .. لقد فقدنا ما يزيد على الثمانمائة من عيوننا الحارسة ، وهناك نصف هذا العدد من المقاتلين الأرغورانيين ، يهاجم القصر ، ويشتبك مع عيون الحراسة المتبقية ، وطاقم الأمن فى القصر ، فى معركة حامية الوطيس .

هتف الإمبراطور ، فى توتر لم يشعر بمثله قط :

ـ وأين (آجور) !.. كيف يترك الأمور على ما هى عليه ؟

أسرع (أوراكس) يضغط بعض الأزرار ، فأضيئت شاشة أخرى ، وظهر عليها (نور) و (هونور) ، وهما يتبادلان إطلاق النار ، بالقرب من القبو ، فهتف الحكيم :

ـ يا آلهة (جلوريال) !.. القتال لا يقتصر على ساحة القصر يا مولاى ، بل يمتدّ إلى داخله .. انظر .. هناك أرغورانى ، ورجل من (سيتا ـ ٣) يقاتلان رجالنا ، بالقرب من القبو ، حيث تحتفظ بالأسير .

تشبّث الإمبراطور (سيليا) بعرشه فى قوة ، وهو يقول :

ـ انظر جيدًا أيها الحكيم .. إنه ليس رجلا عاديًا ، من رجال (سيت ـ ٣) .. تطلّع إليه جيدًا ، وستدرك أنه أخطر الرجال على الإطلاق .

وارتجف صوته فى مقت وكراهية ، لا حدود لهما ، وهو يستطرد :

ـ إنه (نور) .. المنقذ .

ارتفع حاجبا الحكيم (أوراكس) ، فى دهشة وفزع ، وغمغم فى ارتياع :

المنقذ ؟!.. هنا ؟!.. داخل القصر الإمبراطورى ؟!

أما (سيلبا) فقد انتفض جسده كله غضبًا وتوترًا ، وهو يصرخ :

ـ أين (آجور) ؟.. أين ذلك اللعين ؟! .. كيف سمح بحدوث هذا .. إنها كارثة !.. كارثة بكل المقاييس .

هتف به الحكيم فى قلق :

ـ اهدأ يا مولاى .. ربما لم يعد (آجور) يملك ما يفعله .. ربما كان هو أول ضحايا الهجوم .

ثم مال نحوه مستطردًا :

ـ ولكنك ما زلت هنا يا مولاى .. فوق عرشك .. بكل هيبتك وسطوتك ، وتعلم مثلى أنهم ، حتى وإن نجحوا فى احتلال القصر ، فإنهم لن يظفروا بك قط .

قال الإمبراطور فى غضب :

ـ ولكنهم سيظفرون بهيبتنا يا حكيم القصر ، وهذا ما لا أسمح به قط ..

ثم ألقى نظرة على شاشة الرصد ، التى نقلت صورة للقتال الدائر ، على أربع محاور ، بين قوات أمن القصر ، ورجال المقاومة ، ثم تراجع فى عرشه ، وقال فى صرامة :

ـ سأقود المعركة بنفسى ، وسأستدعى المزيد من عيون الحراسة ، وجيشًا كاملا من فرساننا ، وسأستخدم كل وسيلة ممكنة ، لسحق هذا الهجوم ، وإلقاء القبض على (نور) هذا .

ثم مال نحو (أوراكس) ، مستطردًا بلهجة آمرة :

ـ أرسل فرقة كاملة لقتال (نور) ورفيقه الأرغوراتى ، فى الطابق الأرضى ، واتصل بمركز الأبحاث الفضائى ، وافتح قناة الاتصال العامة ، بكل قواتنا على الكوكب .

وبدت عيناه أشبه بكرتين من اللهب ، وهو يتابع فى مقت غاضب :

ـ لقد أرادوها حربًا .. ليكن إذن .. فلتكن حربًا شعواء ، حتى يعرف الجميع من يمتلك مفاتيح كل الأبواب .

وانتفض جسد الحكيم فى ارتياع ، عندما سمعه يضيف :

ـ أبواب الجحيم .

ومنذ تلك اللحظة ، سجّل تاريخ (أرغوران) تحوّلاً رهيبًا فى مجرى القتال ، وخط سير الحرب ، التى اتخذت منحنى جديدًا ..

منحنى شيطانيًا ..

* * *

« ما رأيك يا (بودان ؟ .. » .

ألقى (محمود) السؤال فى صرامة ، وهو يشير إلى الشاشة ، التى تطلّع إليها (بودان) فى توتر ، و (محمود) يتابع :

ـ ألا يبدو لك ما تراه أشبه بهجوم شامل ؛ .. لقد خالف رجال المقاومة كل الأوامر ، وهاجموا القصر الإمبراطورى ، ونسفوا معظم عيون الحراسة ، وفقدوا فى هجومهم هذا أكثر من عشرين رجلاً ، وهم يقاتلون الآن حرّاس القصر ، ولن يمضى وقت طويل ، حتى تصل قوات إضافية ، ومئات من عيون الحراسة ، لسحق المهاجمين ، وإبادتهم عن آخرهم .. ألا يستحق هذا تدخل (أرغوريا) ؟

بقى (بودان) صامتًا لحظات ، ثم أجاب فى حزم :

ـ بل هو يحتم تدخلها ، ودون إبطاء .

قالها واندفع إلى أجهزة الاتصال بالسفينة الإمبراطورية ، مستطردًا :

ـ استدع صورة (أرغوريا) على الشاشة ، وسأعمل على توجيهها ، لتسدد ضربة قاصمة للعدو .

هتف (محمود) فى حماس :

ـ هذا ما كنت أحلم به .

وبسرعة ، ظهرت صورة (أرغوريا) على شاشة رصد خاصة ، وبدأت (سلوى) تضغط الأزرار فى حماس ، وهى تقول :

ـ ستظل (أرغوريا) فى مدارها ، وستطلق أشعة محدودة فى البداية ، لتدمير أحد أبراج القصر الإمبراطورى ، وإعلان دخولها إلى المعركة .. ومن المؤكد أن هذا سيرفع الروح المعنوية للمقاتلين كثيرًا .

هتفت (مشيرة) :

ـ بالطبع .. سيبدو لهم أن السماء تؤازرهم .

أما (نشوى) ، فسألت فى قلق :

ـ ولكن : ألن يؤذى هذا الهجوم أبى ؟

أجابتها (سلوى) ، وهى تبث الإشارة إلى (أرغوريا) فى انفعال :

وبدأت (سلوى) تضغط الأزرار فى حماس ، وهى تقول :

ـــ ستظل (أرغوريا) فى مدارها ..

ـــ لو أن الأمور تسير كما خطّطنا لها ، فالمفروض أن يكون (نور) الآن فى الطابق الأرضى ، أو فى القبو ، و (أرغوريا) ستهاجم الأبراج فحسب ، حتى لا تؤذى مقاتلينا .

ومع آخر حروف عبارتها ، انطلق من (أرغوريا) دفق من أشعة الليزر ، اخترق الغلاف الجوى لكوكب (أرغوران) ، ونسف البرج الجنوبى للقصر الإمبراطورى .

وفى أرض المعركة ، هتف (ديجنتى) فى حماس :

ـــ هل رأيتم يا رفاق ؟! السماء تقاتل إلى جوارنا .. هيّا .. قاتلوا بكل قوتكم .

كان الكثير من رجال المقاومة يتساقطون ، وكذلك العديد من رجال حراسة القصر ، والحرب فى أوجها ، ولكن سقوط البرج أشعل المزيد من حماسة المقاتلين على نحو ملحوظ ، نقلته شاشة الراصد إلى المقرّ السرى ، فهتف (محمود) :

ـــ هل رأيت يا (بودان) ؟! .. تدخل (أرغوريا) صنع فارقا ضخما ..

ولم يجب (بودان) ..

كان يراقب كل الشاشات فى صمت وتوتر ، والقلق

يملأ نفسه ، ويكاد يسيطر على كيانه كله ، مع عشرات الأسئلة التى يلتهب بها :

ترى هل ينجح هذا الهجوم ؟!

هل يتمكن رجال المقاومة ، لأول مرة ، من دخول القصر الإمبراطورى ، بعد احتلال دام سنوات وسنوات ؟! ..

وماذا لو أنهم فشلوا ! ..

ماذا لو أن الجلوريالبين استعادوا توازنهم فى سرعة ، وسيطروا على الموقف مرة ثانية ، وهاجموا كل هذا الحشد من مقاتلى المقاومة ؟!..

إنهم سيخسرون عندئذ الكثير والكثير ..

بل سيخسرون كل ما بنوه عبر السنين تقريبًا ..

معظم جيش المقاومة ، وقادتهم ..

وحتى المنقذ الأسطورى ..

أمل (أرغوران) الأخير ..

لذا كان من الضرورى أن تتدخل (أرغوريا) ..

وبكل قوتها ..

وتداعت أفكاره فى سرعة ، فوجد نفسه يتساءل :

ترى كيف كان وقع هجوم السفينة الإمبراطورية ، على غزاة (جلوريال) ؟..

كيف ؟! ..

ولو أمكنه القفز فى تلك اللحظة ، عبر حاجزى الزمان والمكان ، لأتاه الجواب فى ذلك الخوف الشديد ، الذى ملأ كيان حكيم القصر (أوراكس) ، وهو يرتجف فى شدة ويهتف بالإمبراطور (سيلبا) :

ـــ الموقف يتطوّر بسرعة يا مولاى .. هناك هجوم فضائى لصالح قوات المقاومة ، من مصدر ما ، ورجالنا يتساقطون مع الهجوم ، وأقترح أن تبادر بتنفيذ خطة الطوارئ القصوى .

هزّ الإمبراطور (سيلبا) رأسه فى عناد ، وهو يقول :

ـــ لا .. ليس بعد .

أتاه صوت يقول فى توتر بالغ :

ـــ متى إذن يا مولاى !

استدار الإمبراطور فى سرعة إلى مصدر الصوت ، وهتف غاضبًا :

ـــ (آجور) ! .. أنت على قيد الحياة إذن ، ولكنك تستحق القتل ، بعد ما حدث هنا .. كيف سمحت بدخول المنقذ إلى القصر ؟

أجابه (آجور) ، وهو يعبر مدخلاً سريًا ، إلى القاعة الإمبراطورية :

ـ ربما كان هذا لصالحنا يا مولاى ، فرجالى يحاصرونه بالقرب من القبو ، ولن تمضى دقائق معدودة ، حتى يكون فى قبضتنا ، حيًا أو ميتًا .

أشار إليه الإمبراطور ، صائحا فى ثورة :

ـ هذا لا يعفيك من مسئولية ما حدث .

قال (آجور) فى عصبية :

ـ ربما يا مولاى ، ولكن المهم هو أننى هرعت إلى هنا ، عبر أحد أنفاقنا السرية ، لأقود ، تحت أمر مولاى ، الهجوم المضاد لرجال الـ ..

قاطعه فجأة انفجار عنيف ، سقط على إثره البرج الشمالى ، فهتف الإمبراطور فى غضب ثائر :

ـ وماذا عن هذا ؟ .. إننا لا نواجه رجال المقاومة فحسب ، وإنما نواجه شيئا ما يمطرنا بأشعة من الفضاء أيضا .

قال (آجور) فى توتر :

ـ إنها (أرغوريا) حتمًا .

ثم رفع رأسه إلى السماء ، التى تبدو واضحة ، عبر نافذة البهو الإمبراطورى ، وهو يستطرد :

ـ ولكن أين هى !.. من أين تطلق قذائفها الـ ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق فى السماء ، فهتف به الإمبراطور :

ـ ماذا أصابك ؟.. هل لمحت مصيبة أخرى !

هتف (آجور) ، وهو يشير إلى السماء :

ـ بل لمحت أملا يا مولاى .. خمس قذائف نووية تنطلق ، من مركز الدفاع الفضائى نحو السماء . أراهن أنهم قد حددوا موقع تلك السفينة الإمبراطورية الأرغورانية اللعينة ، ويمطرونها بقذائفهم أراهن على هذا بحياتى .

تابع الإمبراطور وحكيم القصر تلك الخيوط الخمسة المضيئة ، التى تكاد تختفى فى السماء ، وغمغم الأول فى توتر :

ـ لو أن هذا صحيح ، فستتغير كفة المعركة حتمًا .

وعادت عيناه تبرقان كاللهب ، وهو يستطرد :

ـ ستتغير كثيرًا .

وراقب الجميع تلك الخيوط الخمسة فى لهفة وقلق .. وكلمة الجميع هذه لا تحمل أدنى قدر من المبالغة ، فهناك .. فى المقر السرى للمقاومة ، ارتجفت قلوب أبطالنا كلهم ، وهتفت (سلوى) ، وهى تشير إلى الشاشة الخاصة ، التى تنقل صورة (أرغوريا) :

ـ ما هذا بالضبط ؟

أجابها (بودان) فى توتر شديد :

– صواريخ نووية .. لقد حدّدوا موقع (أرغوريا) ، ويهاجمونها فى كثافة .

سأله (محمود) :

– وهل تعتقد أن لديهم فرصة لإصابتها ؟

أجابه (بودان) وقد تعلّقت عيناه بالشاشة فى قلق :

– المفروض أن (أرغوريا) تمتلك جهاز رصد خاص ، يتيح لها تحديد اتجاه وموقع القذائف التى تهدّدها ، ومناورتها بمرونة معقولة ، تتناسب مع حجمها الضخم ، ولكن ..

لم يكمل عبارته ، فسألته (نشوى) متوترة :

– ولكن ماذا ؟

أجابها فى خفوت :

– ولكنهم أطلقوا خمس قذائف نووية دفعة واحدة ، وهذا لن يكون فى صالح (أرغوريا) .

وازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يستطرد بصوت مرتجف :

– لن يكون فى صالحها أبدًا .

هوى الجواب على قلوبهم كالصاعقة ، وتعلّقت عيونهم بالشاشة الخاصة ، التى نقلت صورة (أرغوريا) ، وهى تتحرك فى مناورة محدودة ، متفادية القذيفة

الأولى ، التى تجاوزتها إلى الفضاء الشاسع ، ثم مالت متفادية القذيفة الثانية أيضًا ، ودارت حول نفسها لتنجو من الثالثة ، ولكن الرابعة احتكت بجانبها ، وأمالتها على نحو بالغ الخطورة ، وإن لم تنفجر فيها ، و ..

ولكن القذيفة الخامسة كانت أسعد حظًا ..

لقد أصابت قلب السفينة الإمبراطورية الأرغورانية بالضبط ..

وكان الانفجار هائلاً فى الفضاء ..

هائلاً إلى حد جعله مرئيًا واضحًا ، بالنسبة للجميع ..

للإمبراطور (سيلبا) وحكيم قصره ، وقائد فرسانه ..

لرجال المقاومة الذين يقاتلون بصدور عارية ..

وللرفاق فى المقر السرى للمقاومة ..

وفى وقت واحد ، أدرك الجميع أن (أرغوران) قد فقد سلاحه ..

سلاحه الأخير .

* * *

٨ ـ الانتحاريون ..

لم يشهد (أكرم) سوى الدقائق الأولى فحسب ، من القتال بين قوات حراسة قصر الإمبراطور الجلوريالى ، ورجال المقاومة الأرغورانية ..

لقد أطلق نيران مسدسه الآلى على عيون الحراسة ، ونسف ثلاثة منها ، ثم صاح بفريق الانتحاريين ، الذى كوّنه من قلب جيش المقاومة الصغير :

ـ هيا يا رجال حان دورنا .

كانوا تسعة من الأرغورانيين ، وهو عاشرهم ، انطلقوا تحت وابل من النيران المتبادلة ، وشقوا طريقهم فى بسالة ، عبر الساحة الرئيسية للقصر ، ثم التفوا حوله ؛ ليقتحموه من مدخله الخلفى ..

ولم تكن رحلتهم هذه سهلة أو ميسورة ، على الرغم من قصرها ..

لقد واجهوا فريقًا من حراس القصر ، وتجاوزوا عددًا من الأكمنة ، وقاتلوا كالوحوش الكاسرة ، حتى

بلغوا المدخل الخلفى ، وقد انخفض عددهم إلى ستة رجال ، لو أضفنا إليهم (أكرم) ، الذى تجاهل إصاباته وجروحه ، وهو يضع خزانة رصاصات إضافية فى مسدسه ، هاتفًا :

ـ لقد خسرنا أربعة رجال ، ولكننا بلغنا نقطة الانطلاق يا رجال ، ويهمنى أن تعلموا ، قبل أن نقتحم هذا المدخل ، أننا سنواجه خلفه حتمًا مقاومة مستميتة ، لو نجحنا فى تجاوزها ، نكون قد حققنا نصف النصر على الأقل ، ولو أن أحدكم يرغب فى التراجع ، فليعلن هذا الآن ، وإلا فلن تكون هناك فرصة أخرى .

رفع الجميع أسلحتهم فى حزم ، معلنين إصرارهم على الاستمرار ، فجذب مشط مسدسه ، وقال :

ـ فليكن .. سننطلق على بركة الله .

وانهال على رتاج المدخل الخلفى برصاصات مسدسه ، ورأى الرتاج الإليكترونى ينفجر أمامه ، فدفع الباب بقدمه ، وهو يطلق صيحة قتالية رهيبة ..

وعندما انفتح الباب الخلفى للقصر ، انفتحت معه كل أبواب الجحيم الأمامية ، وراحت خيوط الأشعة القاتلة تنطلق من كل مكان ، ولكن (أكرم) لم يتوقف لحظة واحدة ، لقد انطلق بكل سرعته وقوته ، وهو يطلق

رصاصات مسدسه على كل جلوريالى يقع بصره عليه ، ووثب متجاوزًا بعض خيوط الأشعة ، وتدحرج أرضًا ليتفادى خيوطًا أخرى ، وشعر بآلام رهيبة فى ذراعه اليسرى ، وسال الدم من جبهته إلى عينيه ، ولكنه أزاحه بكفه فى سرعة ، وواصل القتال كالليث ، حتى عبر أخطر ممرات المدخل ، وأصبح داخل إحدى القاعات الخلفية ..

وعندئذ فقط ، استدار إلى الرجال الذين تبعوه ، فى هذا الاقتحام الانتحارى ، وأحصى ثلاثة منهم ، قبل أن يسأل :

ــ أين الباقون ؟

أجابه أحد الثلاثة ، والدماء تسيل من جرح فى عنقه ، وتلوّث زيه كله :

ــ لقد ذهبوا .

ولم يسأله (أكرم) أين ذهبوا ، فقد كان يعلم الجواب جيدًا ..

يعلم أن ستة من الرجال قد لقوا حتفهم حتى الآن ، وهو لم يتجاوز بعد القاعات الخلفية للقصر ..

ولكن هذا لم يقلقه ..

ولم يوقفه ..

لقد تجاوز الجواب فى سرعة ، وكأنه يتفهّم تمامًا طبيعة مثل هذه الحروب ، وسأل الرجل :

ــ هل تحفظ خريطة القصر ؟

أجابه الأرغوانى على الفور :

ــ بالطبع لو أنك ترغب فى بلوغ القبو ، الذى يحتفظون فيه بالأسرى ، فسيكون عليك أن تعبر ممرًا آخر ، وتواجه نقطة حراسة ، ثم ..

أشار إليه (أكرم) ، وهو يقاطعه قائلاً :

ــ دع (ثم) هذه لموعدها ، فالوقت لا يكفى للحديث والعمل معًا .

ثم اندفع نحو الممر ، الذى أشار إليه الرجل ، مستطردًا :

ــ دعنا نكتف بالعمل إذن .

ومرة أخرى ، راح يطلق رصاصاته ، ويتفادى خيوط الأشعة القاتلة ، ويشعر بالآلام هنا وهناك ..

كان أشبه بآلة بشرية ، فقدت شعورها بالألم ، ولم يعد لها من غاية سوى تحقيق هدف واحد ، لن يثنيها عنه سوى الموت ..

ولكن فجأة ، انتهى الممر ، ووجد (أكرم) نفسه فى مواجهة نقطة الحراسة ، التى يقف عندها حارسان

جلوريالياني ، ضخما الجثة صارما النظرات ، صوّب كل منهما سلاحه نحوه ، وهتف أحدهما :

ـ نهاية المطاف يارجل (سيتا ـ ٣) .

كان الموت قاب قوسين أو أدنى ، لا يفصله عنه سوى ضغطة بسيطة على الزناد ، ولكن ..

فجأة ، دوى انفجار عنيف داخل القصر ، وارتج المكان كله ، ففقد الحارسان توازنهما ، وسقط أحدهما أرضا ، ثم هبّ واقفا بسرعة ، خلال لحظة واحدة ..

ولكن (أكرم) أيضا تحرك بسرعة أكبر ، خلال اللحظة نفسها ..

لقد انبطح أرضا ، وتدحرج فى مرونة ، متجها نحو الحارسين ، وأطلق رصاصة نحو أحدهما ، ثم وثب قائما ، وجندل الثانى بأخرى ..

وهتف مرافقه الأرغوانى فى حماس :

ـ عجبا !.. سلاحك هذا بدائى للغاية ، ولكنك تستخدمه فى مهارة مدهشة يارجل (سيتا ـ ٣) .

أجابه (أكرم) ، وهو يلتفت إليه :

ـ أشكرك .. والآن .. إلى أين نتجه ؟

لاحظ وهو يخاطبه ، أن عددهم قد انخفض إلى ثلاثة ، ولكنه لم يعلق على هذا أيضا ، والرجل يجيبه :

ـ لقد وصلنا تقريبا ، كل ما علينا هو أن نتجاوز

لقد انبطح أرضا ، وتدحرج فى مرونة ، متجها نحو الحارسين ، وأطلق رصاصة نحو أحدهما ..

نقطة الحراسة ، وتنحرف يمينا ، وسنجد القبو فى مواجهتنا .

قال (أكرم) :

ـ هناك قتال يدور عنده إذن .. أسمع صوت طلقات الليزر فى وضوح .

لم يكد يتم عبارته ، حتى دوى انفجار آخر ، بدا وكأنه داخل القصر ، فهتف (أكرم) :

ـ ما الذى يحدث هنا ؟

أجابه أحد الرجلين المتبقيين فى حماس :

ـ هناك قوة ضخمة تؤازرنا ، وأعتقد أن قذائفها أسقطت البرجين .. الشمالى والجنوبى .

رفع (أكرم) حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ عجبًا !.. لم أكن أعلم أننا نمتلك مثل هذه القوة !

هتف الأرغورانى فجأة :

ـ ولاهم .

قالها وهو يشير إلى الممر العمودى على نقطة الحراسة ، فالتفت (أكرم) فى سرعة إلى حيث يشير ، وانعقد حاجباه فى شدة ..

لقد كان هناك أربعة من رجال الفرقة الخاصة ، ينقضون عليهم فى شراسة ، وخيوط أشعتهم القاتلة تنطلق فى كل مكان ..

وبلا تردد ، رفع (أكرم) مسدسه البدائى ، و..

وبدأ قتال جديد ..

وعنيف ..

* * *

تهلّلت أسارير (آجور) فى شدة ، عندما بدا انفجار (أرغوريا) واضحًا فى الفضاء ، قبل أن تتهاوى كشهب محترقة (*) ، نحو المحيط الأرغورانى العظيم ، وهتف الحكيم (أوراكس) :

ـ انتصرنا .. انتصرنا يا مولاى .. رجالنا نسفوا آخر سفينة أرغورانية مقاتلة .

هزّ الإمبراطور (سيلبا) رأسه فى حزم ، وهو يقول :

ـ هذا لا يصنع نصرًا .. رجال المقاومة ما زالوا يقاتلون فى شراسة ، ومنقذهم الأسطورى داخل القصر ، يصد مع زميله الأرغورانى هجوم رجال فرقتنا الخاصة ، الذين لم ينجحوا فى اقتناصهما بعد ، وبعض رجال المقاومة نجحوا فى التسلّل إلى القصر .. أى نصر هذا ؟

تدخّل (آجور) ، قائلاً :

(*) راجع الجزء الثانى (نيران الكون) .. المغامرة رقم ٩٨

ـ مولاى .. اسمح لى بقيادة المعركة ، وسوف ..

قاطعه (سيلبا) فى غضب :

ـ اصمت يا (آجور) .. لقد سمحت لك بهذا ، فحدث كل ما حدث .

هتف (آجور) معترضًا :

ـ إنه ليس خطئى يا مولاى ، فلو ..

قاطعه الإمبراطور مرة أخرى فى غضب صارم :

ـ قلت لك اصمت .. لم يعد من حقك أن تدير أية معارك .

احتقن وجه (آجور) فى شدة ، وابتلع كلماته فى مرارة ، فى حين ، التفت الإمبراطور إلى (أوراكس) ، وسأله :

ـ إلى أين وصل مشروع الليل الصناعى (*) ؟

تنحنح حكيم القصر ، وقال :

ـ قائد الفرسان أقدر منى على الجواب يا مولاى .

بدا الضيق على وجه الإمبراطور ، وهو يسأل (آجور) ، دون أن يلتفت إليه :

ـ إلى أين يا قائد الفرسان ؟

(*) راجع الجزء الثانى (نيران الكون) .. المغامرة رقم ٩٨

أجابه (آجور) فى ضيق :

ـ المفروض أن يكون العمل فى القرص نفسه قد انتهى بالفعل يا مولاى ، فقد كانت لدينا عدسة هائلة ، لمرصد وضع الأرغورانيون مشروع إطلاقه فى الفضاء ، واستولينا عليها مع احتلالنا لكوكبهم ، وكل ما فعلناه هو أن طلينا تلك العدسة بطلاء داكن ، وسنطلقها فى الفضاء فور الـ ..

قاطعه الإمبراطور فى صرامة :

ـ أطلقها الآن .

هتف (آجور) فى دهشة :

ـ الآن ؟! .. ولكن هذا المشروع يا مولاى يحتاج إلى ..

قاطعه (سيلبا) بصرخة هادرة :

ـ قلت لك : أطلقها الآن .

بدا مزيج من الضيق والتوتر على وجه (آجور) ، ولكنه أجاب :

ـ أمر مولاى .

اعتدل الإمبراطور فوق عرشه ، وشمخ بأنفه فى اعتداد ، وهو يراقب شاشات الرصد ، التى تنقل إليه كل ما يدور ، داخل وخارج القصر ، وقال :

ـ دعنا نباغت هؤلاء الأرغوراتيين بشيء لم يروا مثله قط .. بليل طويل .

واكتسى صوته بمزيج من الغضب والصرامة ، وهو يستطرد :

ـ طويل للغاية .

ومن عينيه ، أطلّ ذلك اللهب المخيف ..

اللهب الشيطانى ..

* * *

أطلق (هونور) أشعة سلاحه فى توتر بالغ ، ونجح فى إصابة أحد حرّاس القصر ، قبل أن يقول لـ (نور) :

ـ كم رجلاً نقاتل بالضبط ؟.. لقد أسقطت أكثر من ثمانية حتى الآن ، ورأيتك تُسقط عشرة ، وعلى الرغم من ذلك نواجه جيشًا كاملاً منهم .

أجابه (نور) ، وهو يتبادل إطلاق النار مع بعض الحرّاس :

ـ من الواضح أنهم ركّزوا هجومهم علينا .. إنهم يتوافدون من كل صوب .

سأله (هونور) :

ـ هل تعتقد أنه لدينا أمل فى النجاة ؟

قال (نور) فى حزم :

ـ أنا لا أفقد الأمل فى الله (سبحانه وتعالى) قط .

هزّ (هونور) رأسه ، وهو يقول :

ـ لا يدهشنى أنك قائد عظيم .

غمغم (نور) ، وهو يطلق أشعة سلاحه :

ـ أشكرك .

همّ (هونور) بالتعليق ، ولكن صوتًا من خلفه جعله ينتفض ، ويلتفت بسرعة إلى الخلف ، ثم يهتف :

ـ اللعنة !.. إنهم يحاولون شق الجدار من خلفنا .. سيحاصروننا بين المطرقة والسندان .

استدار (نور) بدوره ، يتطلّع فى قلق إلى الجدار ، الذى راحت أشعة ليزر قوية تشقه فى شكل دائرى ، وهتف (هونور) :

ـ ماذا ينبغى أن نفعل أيها القائد ؟

هزّ (نور) رأسه ، وهم بالقول :

ـ لست أدرى .

ولكن الرد اختنق فى حلقه ، وشعر به يحبس أنفاسه ، وعيناه تتابعان أشعة الليزر فى توتر ، ثم لم يلبث أن قال :

ـ سنقاتل على الجانبين :

قال (هونور) :

ـ كيف ؟.. إننا نقاتل معًا فى جانب واحد ، ولا نكاد نبقى على حياتنا ! ، فكيف ننقسم إلى فريقين ، يقاتل كل منهما بمفرده فى جانب واحد ؟!

وهنا أطلق (نور) العبارة الحبيسة فى صدره ، قائلاً :

ـ لست أدرى .

لم يكد ينطقها ، حتى انهار ذلك الرسم الدائرى فى الجدار ، واندفع عبره عدد من جنود الفرقة الخاصة للقصر ، فالتفت (نور) إليهم ، وصاح بزميله :

ـ سأتولى أنا هذا الجانب .. قاتل حتى آخر رمق .

وراح يمطر القادمين بأشعة سلاحه ، وهم يطلقون أشعتهم ..

ولكن الموقف كان أضخم من أن يحتمله هذا النوع من القتال ، الذى يحتاج إلى أكثر من الإرادة ..

يحتاج إلى معجزة ..

* * *

« فقدنا (أرغوريا) .. » .

نطق (بودان) فى مرارة بلا حدود ، وهو يحدّق فى شاشة الراصد ، التى نقلت مشهد السفينة الإمبراطورية ، وهى تهوى فى المحيط ، وشحب وجه (مشيرة) ، وهى تغمغم فى أسى :

ـ لم يعد لعملنا جدوى .

أما (سلوى) و (نشوى) ، فقد لاذتا بالصمت التام ، ودموعهما تترقرق فى عيونهما ، وقال (محمود) :

ـ لا ينبغى أن نفقد الأمل .

أجابه (بودان) فى حسرة :

ـ ولكننا كنا نعتمد على (أرغوريا) كثيرًا .. كنا نستخدمها كمراقب خفى للكوكب كله ، ونستعد لبث قناتنا الخاصة بوساطتها ، ونستعين بما تحمله من أسلحة ، لتدعيم هجومنا ، و ..

قاطعه (محمود) فى حزم :

ـ وفقدناها .. هذا ما حدث ، وليس كل ما يتمناه المرء يدركه .. لقد فقدنا (أرغوريا) ، ولكننا لم نفقد الأمل فى النصر .

سألته (مشيرة) فى توتر :

ـ أتظننا نستطيع تعويضها ؟

فتح (محمود) فمه ليجيب ، ولكن الجواب أتى على لسان (نشوى) ، التى قالت فى حزم :

ـ ولم لا ؟

التفت إليها الجميع فى تساؤل ، فتابعت فى صلابة ، جعلتها شديدة الشبه بأبيها :

ـ فلنفترض أننا لم نملك (أرغوريا) هذه أبدًا ، وأننا نقاتل وحدنا .. هل كنا سنستسلم ، ونخضع للغزاة ؟.. مستحيل !.. إننا لسنا مجرّد أفراد بسطاء ، يمكنهم أن يتكيّفوا مع المواقف والهزائم .. إننا مقاتلون .. كلنا كذلك .. أبى ، وأمى ، و (رمزى) ، وأنت يا (محمود) ، وكذلك (مشيرة) و (أكرم) .. و (بودان) مقاتل منذ مولده .

غمغمت (مشيرة) .

ـ أنا مقاتلة ؟!

أجابتها (نشوى) :

ـ بالطبع .. أنسيت ما كنت تفعلينه ، من أجل الحصول على خبر واحد ؟. صدقينى يا (مشيرة) .. أنت مقاتلة عظيمة ، وربما كنت أعظم منا جميعًا .

ثم أدارت عينيها فى وجوه الجميع ، مستطردة :

ـ السؤال الآن ليس : ما الذى كان يمكن أن تفعله (أرغوريا) ؟ .. بل هو : ما الذى يمكن أن نفعله ، فى مواجهة الغزاة ؟

أشار (بودان) إلى شاشة راصد ، وقال :

ـ إننا نقاتل بالفعل ، ولكن هذا لن يستمر طويلاً .

سألته فى حزم :

ـ ولم لا ؟.. رجال المقاومة يقاتلون كالوحوش .. انظر إلى الشاشة ، وستجد أنهم متفوقون على حرّاس القصر ، وأنهم أبادوا كل عيون الحراسة .

قال فى توتر :

ـ وفقدوا أكثر من مائة وخمسين رجلاً أيضًا .

لوّحت بذراعها ، هاتفة :

وماذا فى هذا ؟ كل الحروب لها ضحاياها .

هزّ (بودان) رأسه ، وقال :

ـ لست تفهمين شيئًا .. الأمر لن يقتصر على القتال الدائر الآن .. إنه ستجاوز هذا بكثير ، وربما يتحوّل إلى مجزرة مخيفة ، عندما تصل قوّات الجلوريالبين الإضافية ، ويستدعون عيون الحراسة الاحتياطية و ..

قاطعته (سلوى) فجأة فى توتر :

ـ كفى يا (بودان) .. لست أحتمل الحديث عن كل هذا الـ ..

بترت عبارتها بغتة ، وهى تضع يدها على فمها ، وامتعضت على نحو واضح ، وكأنها تقاوم شعورًا بالغثيان ، ثم اندفعت خارجة ، وهى تقول فى إعياء :

ـ معذرة .

تابعها (بودان) ببصره فى دهشة ، ثم قال فى حيرة :

ـ ماذا أصابها ؟

ابتسم (محمود) ابتسامة باهتة ، وقال :

ـ لا شيء .. يبدو فقط أن (نشوى) سيكون لها شقيق ، في القريب العاجل .

رفعت (نشوى) حاجبيها في دهشة ، في حين هتفت (مشيرة) :

ـ هل تعني أن (سلوى) حامل ؟

هز كتفيه ، وقال :

ـ لست طبيبا ، ولكن هذا ما يبدو .

صفقت (مشيرة) بكفيها في جذل طفولي ، هاتفة :

ـ يالله من خبر !.. أراهن على أن (نور) سيفرح كثيرا .

قال (بودان) في أسف :

ـ لو أنه عاد على قيد الحياة .

التفتت إليه (نشوى) في حدة ، وقالت :

ـ سيفعل بإذن الله .

ارتبك مغمغما :

ـ لم أقصد هذا ، ولكن ..

قبل أن يتم عبارته ، صاحت (مشيرة) فجأة ، وهي تشير إلى الشاشة :

ـ رباه !.. انظروا ما يحدث .

التفت الجميع إلى الشاشة في سرعة ، ثم اتسعت عيونهم في دهشة ، فقد كان ما يرونه أمامهم أمرا مذهلا ..

مذهلا بحق .

* * *

٩ ــ القرص الأسـود ..

لـم تشـعر (ريسـتا) ، إحـدى قـادة المقاومـة الأرغورانية ، بمثل هذا الحماس ، فى حياتها كلها ، وهى تهاجم القصر الإمبراطورى ، على رأس فرقتين كاملتين ..

كانت تحلم ، منذ زمن طويل ، بأن تقود هجومًا كهذا ، وتقاتل الغزاة وجهًا لوجه ، كما يحدث الآن ..

وعندما تهاوت عيون الحراسة ، تجت طلقات أسلحتها وأسلحة فرقتها ، تضاعف حماسها عشر مرات على الأقل ، فصاحت :

ــ تقدموا يا رجال .. قاتلوا .

وفى بسالة مدهشة ، وشجاعة تستحق الإعجاب ، اقتحم رجالها الأسوار ، واشتبكوا مع حراس القصر فى قتال شرس رهيب ..

صحيح أنهم فقدوا العشرات من الرجال ، ولكنهم أسقطوا أمام كل رجل منهم رجلين من حراس القصر ، وبدا وكأنهم سيربحون معركتهم لا محالة ، وهم يتقدمون دومًا إلى الأمام ، و ..

وفجأة ، حدثت تلك الظاهرة ..

وبدأ الليل ..

أول ليل يعرفه (أرغوران) فى تاريخه كله ..

كان هناك قرص أسود داكن ، يحلق فى الفضاء ، ويتحرك فى بطء ، بين (أرغوران) وشمسه الكبرى ، فى أول كسوف شمس فى تاريخ الكوكب ..

وتجمد الأرغورانيون فى ذهول ، وهم يشاهدون هذا ..

لم تكن الظاهرة نفسها بغريبة عنهم ؛ فهم يدرسونها فى علم الفلك فى طفولتهم ، ويرصدون حدوثها على كواكب أخرى ..

ولكن أحدًا منهم لم يرها على كوكبه قط ..

ومع ذلك الذهول الذى أصابهم ، هتف (آجور) ، فى قاعة الإمبراطور ، والحماس ينتفض مع خلايا جسده :

ــ أرأيت يا مولاى ؟. لقد أصابهم الذهول ، وتوقفوا عن القتال .

صاح الإمبراطور فى حزم :

ــ ماذا تنتظر ؟.. أن يضيع أثر المفاجأة .. هيا يا قائد الفرسان .. مر رجالك بإبادة هؤلاء الحمقى ، قبل أن يفيقوا من الموقف .

قهقه (آجور) ضاحكا ، وقال :

ـ اطمئن يا مولاى .. إنهم يحتاجون إلى دهر كامل ، قبل أن يعتادوا هذا ؛ فعيونهم التى تحيا فى نهار دائم ، مزودة بجفن ثالث ، يجنبهم الإضاءة المستمرة والشديدة ، ولكنها تعجز عن التكيف مع هذا الليل ، أما رجالنا ، فقد اعتادوا ليل كوكبنا ..

أشار الحكيم (أوراكس) إلى شاشة الراصد ، وهو يقول فى قلق :

ـ لماذا لا يطلقون النار إذن ؟

أجابه (آجور) فى بساطة :

ـ لقد أخذتهم المفاجأة أيضا ، ولكن هذا لن يستمر طويلا .

وضغط زر مضخم صوتى خاص ، وقال عبره :

ـ لا تتجمدوا هكذا يا رجال .. هيا .. أبيدوا هؤلاء الحمقى .

دوى صوته فى القصر كله ، وعبر مكبرات ضخمة خارجه ، فانتزع جنوده من ذهولهم ، وهب كل منهم إلى سلاحه ..

وبدأ القتال مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، كان الأمر أشبه بالمذبحة بالفعل ..

لقد عجز مقاتلو (أرغوران) عن تمييز خصومهم ، فى هذا الظلام ، ومع توترهم الشديد ، فأصابت أشعة أسلحة الجلوريباليين العديد منهم ، فى حين هتفت (ريستا) برجالها :

ـ أطلقوا النار نحو القصر بلا تمييز ، وحاولوا أن تتراجعوا بسرعة .

ارتبك من تبقوا من رجال المقاومة ، واضطربوا ، وراحوا يطلقون النار فى تخبط شديد ، فى حين اتصلت (ريستا) بـ (كالوا) ، عبر جهاز اتصال خاص ، وهى تهتف منزعجة :

ـ (كالوا) .. ماذا نفعل ؟ .. لقد أحاطونا بظلام رهيب مخيف .

أجابها فى توتر شديد :

ـ لست أدرى .. المفروض أن نسأل (ديجنتى) .. لقد فقدت معظم رجالى ، والباقون معرضون لنيران الجلوريباليين .

قالت مضطربة :

ـ وأنا أيضا ، ولكننى حاولت الاتصال به فلم يجب .. أخشى أن يكون قد لقى مصرعه .

هتف (كالوا) فى توتر :

ـ ستكون كارثة ، لو أنه لقى مصرعه بالفعل .

قالت (ريستا) :

ـ المهم أن نجد وسيلة للخروج من هذا المأزق ، قبل أن يبيدنا الجلوريباليون عن آخرنا .

أجابها فى توتر :

ـ فليكن .. ليس أمامنا سوى حل واحد .. سأصدر أوامرى للجميع بالانسحاب إلى الأطلال ، وهناك قد يمكننا أن ..

قاطعته شهقة قوية منها ، أتته عبر جهاز الاتصال ، فهتف بها :

ـ ماذا حدث ؟

أجابته بصوت ترتجف حروفه ارتجافا :

ـ يبدو أنه حتى الانسحاب إلى الأطلال لم يعد ممكنا .

هتف بها :

ـ ماذا تعنين ؟

قالها دون أن ينتظر جوابا ، واستدار بسرعة يتطلع إلى الأطلال ، ثم اتسعت عيناه فى ذعر وهلع ، وكادت عروقه تنفجر فى ارتياع ..

فهناك ، على بعد كيلو متر واحد من الأطلال ، كانت هناك مئات الكرات الصغيرة ، التى تندفع نحو القصر ..

ولم تكن هذه الكرات سوى أخطر أسلحة الجلوريباليين .

العيون ..

عيون الحراسة القاتلة ..

* * *

شعر (نور) بألم شديد فى ذراعه ، التى اخترقها خيط من خيوط الليزر القاتلة ، وسال الدم على ذراعه ، ولكنه لم يتوقف عن إطلاق النار على جنود الفرقة الخاصة ، الذين يقفزون عبر الفجوة فى الجدار ، فى حين استبسل (هونور) فى إطلاق النار على الجانب الآخر ، وهو يقول :

ـ يبدو أننى مضطر لإعلان أمر ، لم أعلنه قط ، فى حياتى كلها .

سأله (نور) :

ـ ما هو ؟ .. هل تفكر فى الاستسلام ؟

هز (هونور) رأسه ، وهتف :

ـ مطلقا .. إننى أفضل الموت ، ولكننى أعلن يأسى من الانتصار على هؤلاء الأوغاد .. إنهم يتدفقون بالعشرات ، ولم يعد لدى سوى قدر قليل من الطاقة فى سلاحى ، ولو كنت محظوظا للغاية ، سأنجح فى القضاء على ثلاثة منهم على الأكثر ، ثم تنضب الطاقة ، وتكون نهايتى الحتمية .

وسال الدم على ذراعه ، ولكنه لم يتوقف عن إطلاق النار على جنود الفرقة الخاصة ..

قال (نور) فى مرارة :

ـ كنت أتمنى أن أشد من عضدك يا صديقى ، ولكن الأمر الواقع يؤكد أنك على حق ..

هتف (هونور) :

ـ الوداع إذن أيها المنقذ .. إنه لشرف لى أن أموت وأنا أقاتل إلى جوارك .

قال (نور) فى حزم ، وهو يطلق آخر طلقاته :

ـ الشرف لنا معًا يا رجل .

أدرك خصومهما أن طاقتهما قد نضبت ، فتوقفوا عن إطلاق النار ، واندفعوا نحوهما من الجانبين ، وكبيرهم يهتف :

ـ ألقوا القبض عليهما.. نريد المنقذ حيًا.. هذا أفضل .

ولكن فجأة ، وثب (أكرم) عبر فجوة الجدار ، وهو يهتف :

ـ هذا لو أمكنكم الفوز به .

وانطلقت رصاصات مسدسه تحصدهم حصدًا ، قبل أن يلتفتوا إليه ، وأباد كل الجنود على هذا الجانب ، ثم التقط أسلحتهم ، وألقاها إلى (نور) و (هونور) ، هاتفًا فى حماس :

ـ خذا .. المعركة لم تنته بعد .

كان لظهوره المباغت فعل السحر ، فى عودة حماس (هونور) إلى ذروته ، فالتقط سلاحين من أسلحة الجنود القتلى ، وراح يطلق أشعتهما على الآخرين ، فى الجانب الآخر ، وهو يصرخ :

ـ تراجعوا أيها الأوغاد .. تراجعوا .

وهتف (نور) بـ (أكرم) :

ـ كيف وصلت إلى هنا ؟

أجابه (أكرم) فى حماس :

ـ لقد اقتحمنا المدخل الخلفى .. كنا عشرة رجال ، ولم يبق منهم إلا أنا .. الباقون لقوا مصرعهم .

شعر (نور) بغصة فى حلقه ، وهو يسمع هذا ، فطالما كره القتل والتدمير ، على الرغم من أن حياته وعمله يدفعانه دفعًا إلى الخوض فى معارك عنيفة ، تحتم عليه أن يقتل ويدمّر ..

ولهذا يبغض الحروب ..

كل الحروب ..

والآن ، وهو يقف داخل القصر الإمبراطورى ، ويتبادل النيران مع الجلوروياليين ، يتضاعف مقته للقتل والتدمير أكثر وأكثر ، و..

« لقد حاصرونا مرة أخرى .. » .

انتزعه هتاف (هونور) هذا من أفكاره ، وسأل فى توتر :

ـ كيف ؟

أجابه (أكرم) فى عصبية :

ـ لقد أرسلوا قوة إضافية ، ويبدو جهازًا خاصًا .. أظنه أحد مدافع الليزر شديدة التدمير .

قال (نور) متوترًا :

ـ لا أعتقد أنهم سيحاولون تدميرنا ، فقد سمعتهم يقولون : إنهم يريدوننى حيًا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت (آجور) ، عبر مكبرات الصوت الداخلية ، وهو يقول :

ـ اقتلوا كل من دخل إلى القصر .. حتى المنقذ الأسطورى .. لم نعد نرغب فى الحصول على أسرى .. اقتلوا الجميع .

انعقد حاجبا (أكرم) فى توتر شديد ، وهتف (هونور) :

ـ اللعنة !

أما (نور) ، فقد حدّق فى مدفع الليزر المخيف ، وأدرك أن ضغطة واحدة على زر إطلاقه ستعنى له النهاية ..

نهاية حياته كلها .

وأمام عينيه مباشرة ، ضغط أحد جنود الفرقة الجلوريالية الخاصة زر إطلاق مدفع الليزر ، و..

وبدأت النهاية .

* * *

انتهى الجزء الثالث بحمد الله

ويليه الجزء الرابع والأخير

(الزمن = صفر)

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف

د. نبيل فاروق

٩٩

الانفجـــار

- ما مصير (رمزى) ، بعد أن أسره الجلوريباليون فى (أرغوران) ؟
- كيف يواجه (نسور) وفريقه كل جيوش الغزاة ، على بعد ملايين السنوات الضوئية من كوكبهم ؟
- ترى .. هل يربح أبطالنا هذه المعركة، أم تنتهى حياتهم وسط (الانفجار) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نسور) وفريقه ، من أجل العدالة .

الثمن فى مصر
١٠٠ مليم
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم : الزمن صفر

المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر